معلومات جديدة عن قضية قديمة «٥٥»

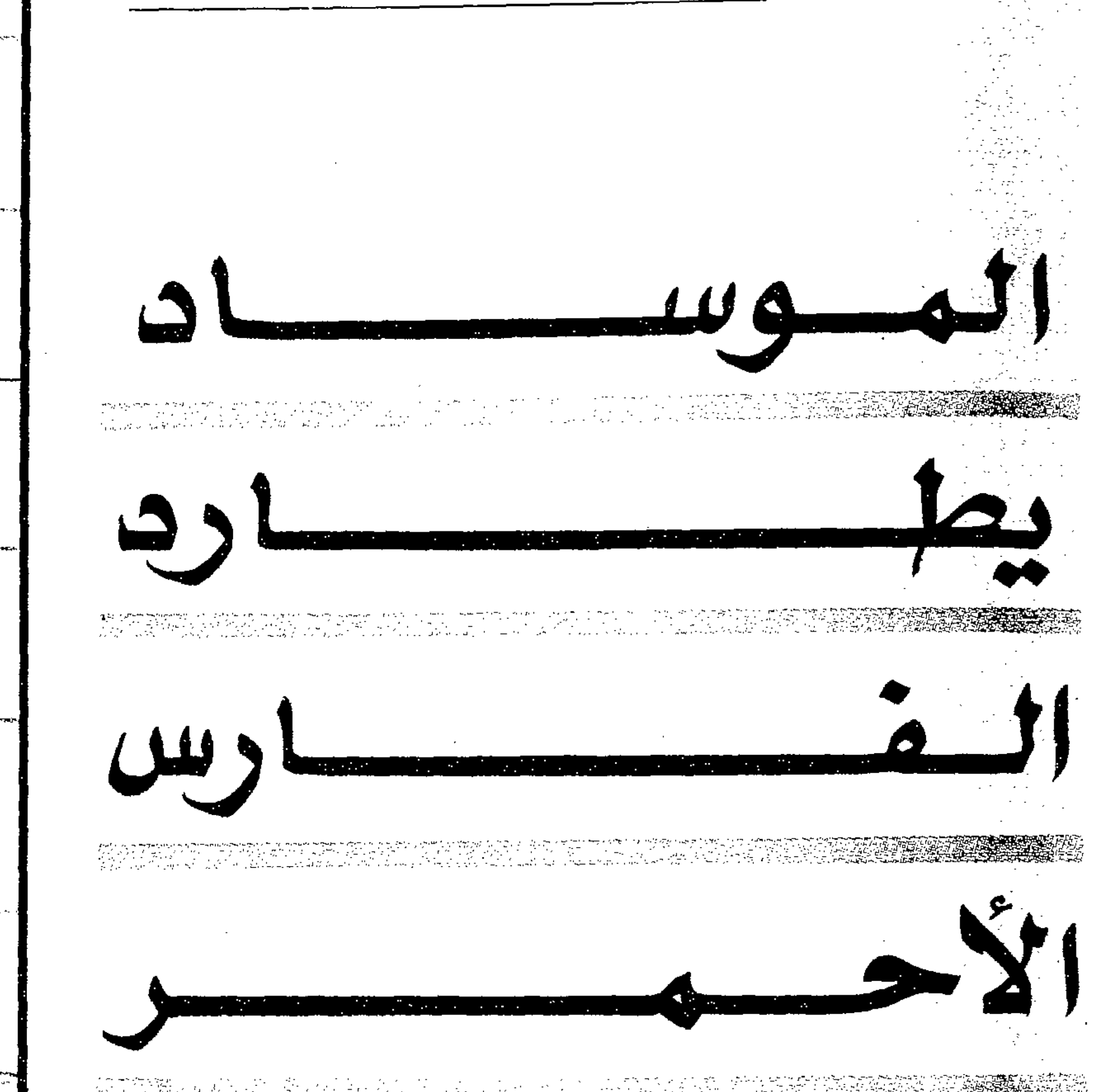
في يوليو ١٩٧٣ ضبطت الشرطة النرويجية عميل الموساد دان ايربيل بتهمة المشاركة في قتل عامل مقهى مغربي في ليلهامر اسمه احمد بوشيقي وهو يظن انه علي حسن سلامة، احد المسؤولين في فتح.. وفي التحقيقات التي اجريت معه، اعترف دان انه عضو في فريق اغتيالات تابع للموساد، تم تشكيله بأمر من رئيسة الوزراء في ذلك الحين، غولدا مائير لتصفية زعماء الثورة الفلسطينية.

وفي التحقيق ايضا.. كشف دان الكثير من اسرار الموساد، من بينها اكبر عملية قرصنة في التاريخ بدأتها اسرائيل في بلجيكا، حيث سرقت الباخرة شيرزبورغ أ التي كان من المفروض ان تنقل شحنة من اليورانيوم الى ايطاليا.. فسرقت اسرائيل شحنة اليورانيوم ونقلتها الى مفاعل ديمونا في صحراء النقب. اما الباخرة شيرزبورغ .. فقد وصلت الى أحد الموانىء التركية فارغة من حمولتها، حيث هجرها قبطانها وبحارتها واختفوا في ظروف غامضة.

وكانت هذه الشحنة هي البداية في رحلة اسرائيل الطويلة لصنع القنبلة الذرية.

إسرائيل تخطف قنبلة ذرية -١٢-

الموساد يطارد الفارس الأحمر



نورجاده شارع طويل يمتد من وسط كوبنهاغن باتجاه الشمال، ومدخل الشارع ٤٣«أ» ضيق يقع عند طرف ساحة صغيرة.. واذا صعدت درجا خشبيا صغيرا فانك تصل الى غرفة صغيرة، تحتوي على بدالة صغيرة، وثلاثة رفوف معبأة بأجهزة الهاتف.. وكل جهاز يحمل اسم شركة تختلف عن الاخرى، وهنالك رجل في الغرفة يجيب على المكالمات التي تصل الى الشركات.

وهذه الغرفة الصغيرة هي مقر «السكرتير الهاتفي» وهي مؤسسة دانمركية توفر للشركات عنوانا مقبولا وسكرتيرا يجيب على المكالمات التي تصلها.. وقد استاجر ايربيل احد هذه الاجهزة الهاتفية باسم شركة «فايكنغ».. ورغم ان هذه الشركة لا وجود لها في سجل الشركات الدانمركية، فان ذلك لم يمنع ايربيل من وضع لافتة باسمها على المدخل.. الى جانب الشركات الاخرى.

□■□

وبالرغم من ان شركة فايكنغ مجرد شركة شبحية فان الشركات التي تعامل معها ايربيل سعدت بهذا الترتيب، كما ان شركة السكرتير الهاتفي ارتاحت للتعامل مع دان ايربيل.. فقد اعتادت هذه الشركات في الماضي على المطاليات، والشكاوى بسبب التاخر عن الدفع، اما ايربيل فانه لم يكن يترك لهم مجالا لذلك، فقد كان يدفع فواتيرهم بانتظام.

وفي خريف عام ١٩٦٩ كانت الرياح تهب في اشرعة ايربيل، كما يريد هو بالضبط.. فقد اصبح معروفا كتاجر ناجح.. ولم يكن يدور في خلد احد ان عمله التجاري هو مجرد غطاء، وانه عميل محترف للموساد ولعل هذا هو السبب الذي دفع الموساد الى ترشيحه لنقل ملكية شركة بوشكين تريدرز اليه.. وهنا فانه يبدو من الغريب ان يغامر ايربيل بكل ما حققه، ويستعين بشخص مثل ثورين هفيد للتخلص من السفينة شيرزبورغ«أ».

ولعله من الانصاف ان نقول انه اذا استثنينا سجل هفيد الجنائي، نجد انه شريك مثالي، اذ انه لم يكشف عن اي فضول ولم يتساءل عن حياة ايربيل الغريبة.. ومثال على ذلك، فان هفيد شعر بالدهشة ذات يوم عندما اكتشف ان صديقه ايربيل صبغ شعره باللون الاحمر، ولكنه لم يضغط عليه لتفسير سبب ذلك.

وفي احد الايام نزل هفيد في شقة يملكها ايربيل في روما كانت مهجورة لا يملكها احد، وادوات المطبخ منها غير مكتملة .. ومع ذلك فان هفيد لم يعلق على ذلك (وذكرت مصادر الشرطة الايطالية فيما بعد ان الموساد كان يستغل هذه الشقة كسكن لعملائه).. وعندما وافق هفيد على ان يكون سكرتيرا لشركة بوشكين تريدرز، لم يطرح اية اسئلة.

□■□

وهنالك ناحية اخرى في العلاقة بين هفيد وايربيل هي ان هفيد كان معجبا بصديقه الى حد بعيد.. بالرغم من ان البعض كان ينظر الى ايربيل باعتباره شخصا رخيصا.. ودنيئا.. ومثال على ذلك، عندما يعزم ايربيل احد اصدقائه الى العشاء، فانه يختار مطعما رخيصا.. وعندما يكون هو المدعو، فانه يختار افضل الامكنة. وعندما يتصل بزوجته في باريس، من هاتف عمومي، فانه يقصر كلامه على الاشياء الضرورية لكي لا يدفع اجرا كبيرا على المكالمة الهاتفية.. وباختصار، كان بخيلا الى ابعد مدى، ومع ذلك فقد وجد فيه هفيد ما ينقصه، وهو القدرة على الضرب على اكثر من وتر، في وقت واحد.

وفي عام ١٩٧١، شعر هفيد بالاسى عندما اعلن ايربيل وزوجته دبرا انهما يرغبان في مغادرة باريس والعودة نهائيا الى اسرائيل.. معللا ذلك بأن «الاوان قد آن لكي استقر».

وفي اسرائيل، فعل ايربيل ما لم يفعله من قبل وهو: انه اشترى منزلا، واستقر في عمله.. فقد التحق بقسم التصدير في شركة سن فروست للاغذية المثلجة في اشدود.. وكان في كل يوم يستقل سيارته من تل ابيب للذهاب الى مكان عمله.. وقد عهد الى المهندس الاسرائيلي حاييم هايفتس بتصميم منزله.

وخلال السنوات التي امضاها ايربيل في اوروبا، جمع ثروة جيدة، ولذلك طلب من هايفتس ان يصمم له منزلا فاخرا.. وبالفعل صمم هايفتس منزلا يتالف من ثلاث قباب متصلة ببعضها البعض.. بحيث يبدو وكانه منزل فضائي في مستوطنة على القمر.

والغريب في هذا المنزل انه لا يحتوي على فواصل او ابواب داخلية.. وعندما زار هفيد كوبنهاغن قدم صور وتصاميم المنزل الى مجلة «بو بدرا» التي نشرت تحقيقا عنه في اوائل عام ١٩٧٣.

□■□

ونمت عائلة ايربيل، واصبحت تتالف من ولدين وبنت.. ولذلك اصبح يمضي معظم وقته في اسرائيل ومع ذلك فانه استمر في تنفيذ بعض المهمات لصالح الموساد، اثناء سفره الى اوروبا لتسويق منتوجات شركة صن فروست.

وفي ابريل ١٩٧٣ استقال ايربيل من شركة صن فروست وتسلم منصب مدير التصدير في شركة اوسيم، وهي اكبر شركة لانتاج المواد الغذائية في اسرائيل، وبعد ذلك بشهر واحد، اتصل الموساد به، وطلب منه ان يستعد لانجاز مهمة جديدة.. وبالرغم من انه انضم الى شركة اوسيم قبل ثلاثة اسابيع، فقد منحته الشركة اجازة لمدة ٦ اسابيع اعتبارا من ١٥ يونيو.

وفي ٨ يوليو اتصل الموساد بايربيل، وطلب منه الحضور الى مبنى وزارة الدفاع الاسرائيلية في المنطقة الشمالية من تل ابيب.. حيث ابلغه المسؤولون في الموساد ان العملية المقبلة ستتم في هولنده، وانها ستستغرق ما يعادل خمسة ايام.

وكانت العملية هي اغتيال علي حسن سلامة الفارس الاحمر.

□■□

ومطاردة الموساد لعلي حسن سلامة تعكس اسلوبا من اقدم الاساليب التي استخدمها الموساد.. وهي: التصفيات الجسدية.. فاسرائيل كانت تعتبر علي حسن سلامة خطرا عليها، وتحمله مسؤولية عملية ميونيخ في سبتمبر ١٩٧٢ عندما احتجز الفدائيون الفلسطينيون من ايلول الاسود مجموعة من الرياضيين الاسرائيليين كرهائن وقتلوا ١١ رياضيا.

وكان المسؤولون عن الموساد يعتقدون ان علي حسن سلامة (الفارس الاحمر) هو الذي يخطط لعمليات ايلول الاسود التي شكلت في سبتمبر ١٩٧٠.. واغتالت وصفي التل، رئيس الوزراء الاردني في ٢٨ نوفمبر ١٩٧١ امام مدخل فندق شيراتون - القاهرة.. وبعد ذلك بثلاثة اسابيع حاولت ايلول الاسود اغتيال السفير الاردني في لندن.. وفي فبراير ١٩٧٢ اعدمت خمسة من عملاء المخابرات الاردنية في سرداب احد المنازل في العاصمة الالمانية بون.

واتجهت ايلول الاسود بعد ذلك الى ضرب المصالح الصهيونية في الخارج، فنسفت مستودعات النفط في هامبورغ وروتردام، واحد المصانع في المانيا الغربية، وخطفت طائرة تابعة لشركة لوفتهانزا كان بين ركابها نجل روبرت كنيدي، واطلقت سراح الركاب مقابل فدية بلغت خمسة ملايين من الدولارات.

وبعد ذلك بثلاثة اشهر، قامت المنظمة باول عملية مباشرة لها ضد اسرائيل.. ففي ٨ مايو وصل اربعة من اعضائها الى مطار اللد، من فيينا، واحتفظوا بالركاب كرهائن.. وقد تنكر الكوماندوس الاسرائيليون على هيئة عمال صيانة، واقتحموا الطائرة، وقتلوا اثنين من الفدائيين.. وبعد ٢٢ يوما شهد مطار اللد عملية اخرى اكثر عنفا. فقد وصل ثلاثة من اعضاء الجيش الاحمر الياباني الى مطار اللد وفتحوا نيرانهم على الموجودين في صالة المطار وقتلوا ٢٦ شخصا وجرحوا ٨٠.

وفي اغسطس ١٩٧٢ نجحت ايلول الاسود في تهريب قنبلة داخل جهاز تسجيل، الى طائرة تابعة لشركة العال، اقلعت من روما متجهة الى تل ابيب. وبالرغم من ان القنبلة انفجرت في الجو بعد اقلاع الطائرة، فانها لم تؤد الى سقوط ضحايا، بسبب مهارة الطيار الذي كان يقود الطائرة.. وفي ذلك الحين، كان علي حسن سلامة يخطط لعملية ميونيخ التي جعلت انباء ايلول الاسود تحتل الصفحة الاولى في كل صحيفة في العالم.

□■□

وبدأ عملية ميونيخ عندما التقى ثمانية اشخاص من ايلول الاسود في الساعة الرابعة من صباح يوم ٥ سبتمبر خارج السور الذي يحيط بالقرية الاولمبية التي انشئت لاستقبال اعضاء الفرق وكان خمسة من الفدائيين الثمانية قد وصلوا الى ميونيخ من ليبيا بطرق مختلفة... اما الثلاثة الباقون فقد كانوا في ميونيخ منذ مدة: احدهم مهندس ساهم في تصميم القرية الاولمبية.. والاثنان الاخريان عملاء في اعمال عادية في القرية الاولمبية لمراقبة الفريق الاسرائيلي.. وكان الثمانية مسلحون بكلاشينكوفات، ويرتدون الملابس الرياضية، بحيث انهم عندما تسلقوا السور ظن الذين رؤوهم انهم من احدى الفرق، وقد عادوا الى غرفهم متاخرين بعد ليلة صاخبة في المدينة.

وتولى الفدائيون الثلاثة الذين يعرفون القرية الاولمبية قيادة رفاقهم الخمسة الى الهدف، وهو ٣١ كونولي شتراسي، حيث يقيم الفريق الاسرائيلي.

وعندما اقتحم الفدائيون مقر الفريق، قتلوا اثنين من اللاعبين الاسرائيليين هما: مدرب المصارعة، وبطل رفع الاثقال في الفريق.. واحتجزوا تسعة لاعبين كرهائن.

واطلق الذين تمكنوا من الهرب صفارات الانذار، فحضر ما يزيد عن ٥٠٠ شرطي الماني الى القرية الاولمبية، يرافقهم مندوبو الصحافة العالمية.. وخلال الساعات الاربع والعشرين التالية، كانت الدراما تنقل حية عبر شاشة التلفزيون.

وكانت المطالب التي تقدم بها الفدائيون واضحة ومباشرة، وهي: اطلاق سراح ٢٠٠ معتقل عربي في سجون اسرائيل، ونقلهم الى القاهرة، وتوفير طائرة لنقل الفدائيين ورهائنهم الى القاهرة، حيث تتم عملية المبادلة.

ورفضت اسرائيل عملية المبادلة، ولذلك وضعت السلطات الالمانية خطة لتخليص الرهائن.

□■□

وكانت الخطة الالمانية تقتضي استدراج الفدائيين الى العراء، وعلى هذا الاساس وافقت السلطات الالمانية على توفير باص لنقل الفدائيين والرهائن الى مطار قريب، حيث تجثم طائرة من لوفتهانزا نوع بوينغ ٧٢٧ لنقل الفدائيين والرهائن الى القاهرة. ونشرت السلطات الالمانية عددا من القناصة الماهرين على السطوح والشرفات العالية، على طول الطريق الى المطار، على امل اقتناص الفدائيين على الطريق.. وفي ٥ سبتمبر وصل زفي زامير، رئيس الموساد الى ميونيخ لتقديم مشورته الاستراتيجية.. وقد اعرب زفي عن اعتراضه على الخطة.. ولكن السلطات الالمانية استمرت في تنفيذها.

وبعد الساعة العاشرة بقليل من مساء ذلك اليوم اتجه الفدائيون ورهائنهم الى مطار فير ستنفيلد بروك على مسافة ١٤ ميلا من القرية الاولمبية.. حيث انتقلوا بالباص اولا، ثم بطائرات هليكوبتر، دون ان يتسنى للقناصة على طول الطريق اطلاق النار.. ولكن، عندما هبطت طائرات الهليكوبتر في المطار، ونزل الفدائيون الى المدرج، فتح القناصة النار، فاخطأوا الهدف.. ونشبت معركة بالرصاص انتهت بمقتل اعضاء الفريق الرياضي الاسرائيلي التسعة، وخمسة من الفدائيين، اما الفدائيون الثلاثة الاخرون فقد اعتقلوا، وبعد ستة اسابيع اختطف الفدائيون طائرة لوفتهانزا بعد اقلاعها من بيروت، وتمت مبادلة ركابها بالفدائيين.

□■□

وكان زفي زامير يتابع المعركة من برج المراقبة في المطار.. وفي اليوم التالي حضر مراسم تشييع القتلى التي جرت في الستاد الاولمبي.. وفي المكان الذي كان يمثله الفريق الاسرائيلي في الستاد بقي ١١ مقعدا فارغا.

واستقل زفي زامير، بعد ذلك، اول طائرة الى اسرائيل، وهو يشعر بالغضب من الالمان الغربيين ليس لانهم فشلوا في عملية انقاذ الرهائن فقط وانما لانهم لم يوفروا اجراءات امنية كافية في القرية الاولمبية. وعندما وصلت الطائرة التي تقل زفي زامير الى اسرائيل كان قد عقد العزم على ان يلاحق الفدائيين كيفما كانوا.. وان يصفي خصومه.

□■□

ومنطق «تصفية الخصوم» تجسد في اول القوانين التي اصدرتها اسرائيل.. وهو قانون معاقبة النازيين، والذين تعاونوا مع النازيين والذي صدر عام ١٩٥٠.. وهذا القانون يتيح لاسرائيل محاكمة الذين قاموا بعمليات ضد اليهود، حتى قبل اعلان قيام اسرائيل ومن اشهر ضحايا هذا القانون ادولف ايخمان.

وكان ايخمان احد ضباط الصاعقة النازية الذين تعاونوا مع هتلر.. وفي عام ١٩٤٥ هرب، كما فعل العديد غيره من النازيين، الى اميركا الجنوبية، وبعد ١٢ سنة، تلقى الموساد معلومات ان ايخمان موجود في الارجنتين، وانه يعيش باسم مستعار هو «اوتو كليمنت» في منزل عادي في احدى ضواحي العاصمة بيونس ايرس.. وفي عام ١٩٦٠ تعرف الموساد على المنزل الذي يعيش فيه ايخمان، وطار زعيم الموساد عازر هاريل الى بيونس ايريس ليتاكد من ان هذا الشخص هو ايخمان بالفعل.. وعندما تاكد، لم يتردد على الاطلاق، وامر عملاء الموساد بخطفه واحضاره الى اسرائيل للمحاكمة.

وهكذا حدث، فقد خطف ايخمان من الشارع، قبل دخوله الى منزله، ونقل الى مطار بيونس ايريس، ونقل على متن طائرة للعال وقدم للمحاكمة واعدم في اول يونيو عام ١٩٦٢.

□■□

وكانت هذه العملية نقطة تحول في تاريخ الموساد.. وبالرغم من ان معظم أصدقاء اسرائيل تعاطفوا مع الدوافع التي تكمن وراء اختطاف ايخمان، فان هؤلاء شعروا بالغضب للاسلوب الذي اتبعه الموساد.. ولم تغب هذه النقطة عن بال رئيس الوزراء بن غوريون الذي ناشد الموساد بضبط النفس قليلا.. وظل الموساد يتبع وسائل تقليدية خلال السنوات الثلاث التالية الى ان قام عميل للموساد وولفغانغ لوتز بتحقيق انقلاب شامل في عالم الجاسوسية في القاهرة.

وولفغانغ لوتز التحق بالموساد عام ١٩٥٦.. ووفرت له المخابرات الالمانية، بالتعاون مع الموساد التدريب والتغطية.. وارسل بعد ذلك الى القاهرة باعتباره مدرب خيول المانيا يكره اليهود.. ولم يبلغ عملاء المخابرات الالمانية الغربية في القاهرة باي شيء عن ذلك.

وتمكن وولفغانغ لوتز، خلال فترة بسيطة من تكوين سلسلة طويلة من الاصدقاء في الحكومة المصرية، كما تعرف على عدد من الالمان الغربيين في القاهرة، ومن هؤلاء بعض العلماء الذين يساعدون مصر على تطوير صواريخها.

وعندما وصلت انباء الصواريخ المصرية الى تل ابيب اندفع الموساد لاتخاذ اجراءات جذرية، غير انه بنصيحة بن غوريون بضبط النفس.. فاصدر عازر هاريل اوامره بتصفية العلماء الالمان الذي يعملون في القاهرة، مع عائلاتهم والذين يتعاونون معهم.

وادت الحملة التي قام بها الموساد الى ردع بعض العلماء الالمان من التعاون مع مصر.. ولكن الامور سارت في الاتجاه الخاطيء بعد ذلك.. ففي ٢ مارس ١٩٦٣ علم البوليس السويسري بانباء اجتماع جرى بين اثنين من عملاء الموساد، وابنة احد العلماء.. فاعتقل العميلين واتهما بتوجيه تهديدات الى الفتاة وألحقت الدعاية التي احاطت بالعملية الكثير من الضرر بسمعة الموساد في الخارج، مما اثار غضب بن غوريون.. وقال عازر هاريل ان العلماء الالمان، مثل ادولف ايخمان، يشكلون قضية خاصة، ولذلك فان اللجوء الى العنف والاعمال اللااخلاقية له ما يبرره حتى لو انكشف الامر وعلم العالم كله بذلك.. فرفض بن غوريون هذا المنطق، واستقال عازر هاريل.

□■□

ومع ذلك فان الجدل حول هذه القضية لم ينته، فبعض عملاء الموساد، قبل وولفغانغ لوتز، قرر ان يتصرف هو، بنفسه، فارسل طرودا ملغومة الى بعض العلماء الالمان.. وانكشف امره، واعتقل في فبراير ١٩٦٥.. واثناء التحقيق معه، كشف اسم عميل المانيا الغربية في القاهرة غيرهارد باوخ، بالرغم من ان باوخ لم يكن يعرف شيئا عن لوتز.. وقد اعتقل باوخ الذي كان ينشيء علاقاته الخاصة مع المسؤولين في ذلك الحين، وبذلت المانيا جهودا دبلوماسية كبيرة لمنع تقديمه الى المحاكمة، وقد ابعد الى المانيا بعد ذلك، حيث استقال من مخابراتها احتجاجا على الخديعة التي تعرض لها.

وكانت هذه العملية باسرها ماساوية لكل طرف فيها، فالعلاقات الالمانية الغربية كانت في ذلك الحين تعاني من المتاعب بسبب الاخبار التي نشرت عن تزويد المانيا باسلحة لاسرائيل.. كما ان المانيا كانت تشعر بالغضب بسبب الاعترافات التي ادلى بها وولفغانغ لوتز.. ولان الموساد انتهك السيادة الالمانية ونفذ بعض عملياته على الاراضي الالمانية اثناء حملة على العلماء الالمان.. وكانت اسرائيل في ذلك الحين تفاوض الحكومة الالمانية لتعويضها عن واردات الاسلحة التي لم تصلها.. وجاءت هذه العملية لتضعف موقف اسرائيل.. وقد اصدر بن غوريون تحذيرا مشددا بضرورة ابتعاد الموساد عن مثل هذه العمليات.

وسار مائير اميت، الذي خلف عازر هاريل في رئاسة الموساد في نفس الاتجاه، فالموساد امضى سنوات طويلة في اعداد الغطاء لوولفغانغ لوتز، الذي دمر كل شيء ووضع علاقة اسرائيل مع المانيا في الزاوية الحرجة.. وكان اميت يصر على انه ينبغي على الموساد ان يظل بعيدا عن كل ما من شانه ان يكشف مخططاته، وقد اتبع خليفته زفي زامير نفس الاسلوب.

وعملية بلمبات بسرقة اليورانيوم الى اسرائيل اوضح دليل على ذلك.. فقد نفذت العملية سرا، وظلت سرية، وجاءت بعدها عملية سرقة الزوارق الفرنسية من ميناء شيربورغ.. اما الان، وبعد عملية ميونيخ، فقد قرر الموساد تغيير اسلوبه في العمل.

□■□

وحتى قبل عملية ميونيخ كان زفي زامير يطالب بالسماح للموساد باللجوء الى التصفيات، في صراعه مع المقاومة الفلسطينية.. ففي صيف عام ١٩٧٢ ابلغ الوزارة الاسرائيلية المصغرة، انه ينبغي على الموساد ان يشكل فريق اغتيالات لتعقب زعماء المقاومة.. على ان يكون ذلك توسيعا في تطبيق سياسة الغارات الانتقامية ضد الاهداف الفلسطينية في لبنان.. ومثال على ذلك فان الضفادع البشرية الاسرائيلية تسللوا الى بيروت وزرعوا قنبلة في سيارة غسان كنفاني ادت الى استشهاده مع ابنة شقيقته.. وفي ٦ سبتمبر بعد ساعات من عودته الى اسرائيل من ميونيخ، طرح زفي زامير على الوزارة المصغرة قضية مطاردة زعماء المقاومة واغتيالهم، فوافقت غولدا مائير على ذلك.

وكانت خطة الموساد هي اغتيال زعماء المقاومة بشكل استعراضي.. وحيث ان الموساد لم يكن على استعداد للمخاطرة بكشف شبكته في اوروبا، فقد اوكل عملية الاغتيال لفريق خاص من خارج هؤلاء، على ان تكون مهمة عميل الموساد هو تحديد الهدف، ومن ثم يقوم فريق الاغتيال بتنفيذه.. وكان اول ضحايا الموساد وائل زعيتر الذي كان يتزعم خلية ايلول الاسود في ايطاليا الذي اغتيل في ١٦ اكتوبر ١٩٧٢.. وبعد ذلك بشهرين اغتيل الصحافي السوري خضر قنوع عضو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتبعه محمود الهمشري.. وبعد سبعة اسابيع وجه الموساد ضربته في نيقوسيا حيث اغتال بشير ابو الخير.. وبعده باسل القبيسي الاستاذ في الجامعة الاميركية الذي اغتيل في باريس.. وفي يونيو الجزائري محمود ابو دية الذي اغتيل في باريس.

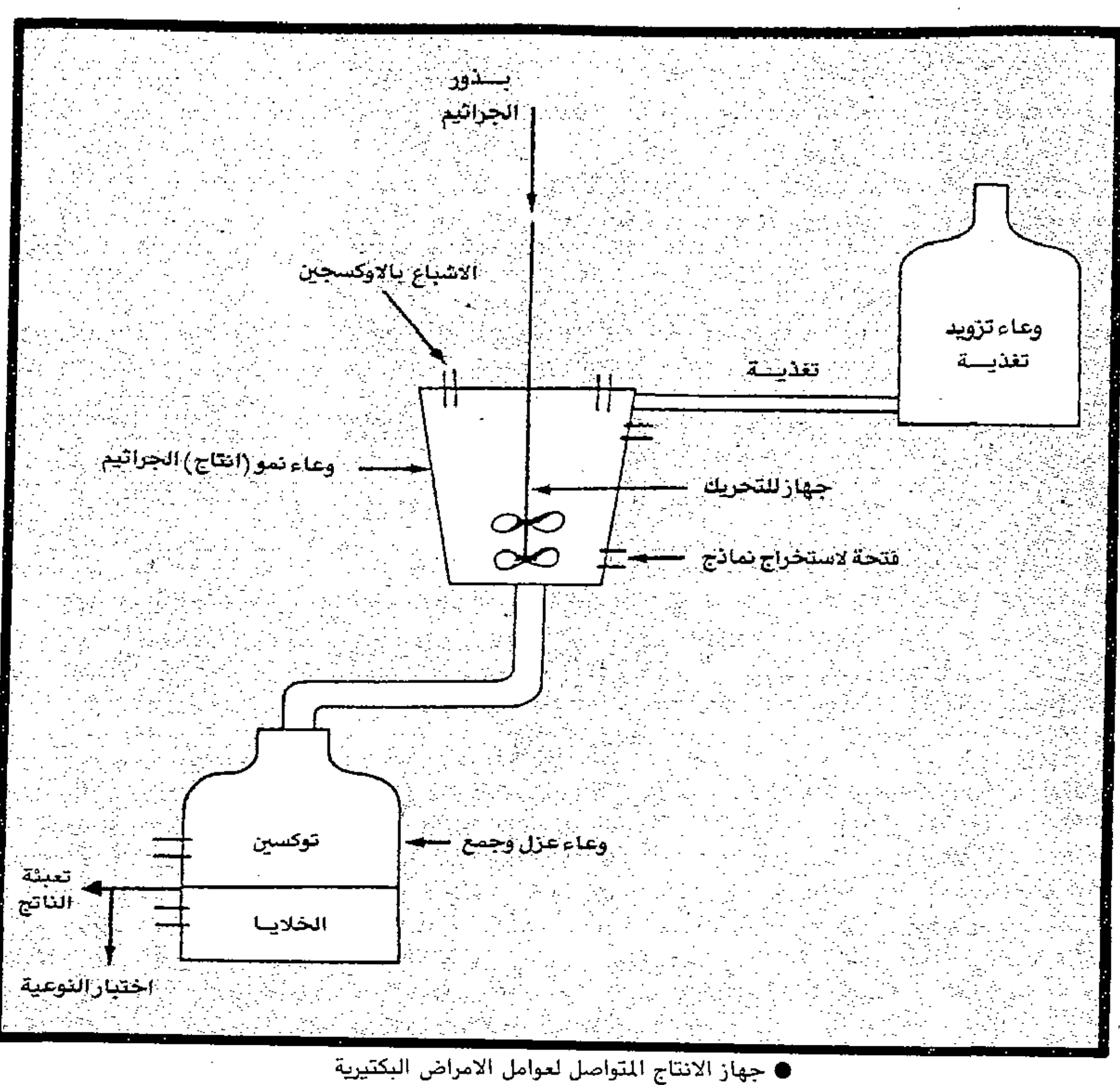
وردت المقاومة الفلسطينية على هذه العمليات باغتيال الكولونيل يوسف الون، والملحق في السفارة الاسرائيلية في واشنطن وارسال طرود ملغومة الى السفارات الاسرائيلية في الخارج واغتيال عدد من الاسرائيليين من عملاء الموساد في باريس وروما ومدريد.

اسرائيل تستعد لتجربتها في الشرق الاوسط والسوفييت يملكون مخزونا هائلا منها

في الماضي، خاض الفلاسفة العرب غمار العلم علهم يحولون التراب الى ذهب..

واليوم، نشهد ظاهرة معاكسة ومرعبة.. هي: ان العلم يسعى لتحويل الانسان الى تراب.. او في افضل الحالات، يعرضه للعاهات الدائمة، والشلل، والعمى والجنون.. بل ان العلم اصبح في مقدوره التمييز.. فالقنبلة التي تلقى قد تقتل الانسان اذا كان من العرق الاصفر مثلا.. وتمر به دون ان تؤذيه، اذا كان ابيض اللون.

الحرب الجرثومية تفرض علينا لبس الأقنعة



● جهاز الانتاج المتواصل لعوامل الامراض البكتيرية

مخزون بذور جرثومية جافة
مخزون بذور ثانـوي
التخزين
البذور
اختبار النوعية
اختبار
محيط للتخمير
مخمر بذور
خزان تغذية
وعاء العزل
خزان للتجميع
اختبار النوعية
النـاتـج

● جهاز انتاج عوامل الامراض البكتيرية

في اوائل ابريل ١٩٧٩، انتشر وباء الجمره (ANTHRAX) في المنطقة التي تحيط بمدينة فيردلوفسك السوفيتية، وادى الى وفاة العديد من المواطنين. وقد اعترفت الحكومة السوفيتية في ذلك الحين بوجود «بعض المشاكل الصحية في المنطقة» وعزتها الى «كمية من اللحوم الموبوءة بداء الجمره، طرحت في الاسواق بصورة غير مشروعة، وادت الى اصابة عدد من المواطنين الذين اكلوا منها بالمرض.

وفي ذلك الحين، طلبت الحكومة الاميركية تقريرا من الحكومة السوفيتية، حول ما جرى في فيردلوفسك، فجاء الرد السوفيتي ليكرر ما اوردته البيانات الرسمية من ان انتشار المرض سببه اللحوم الموبوءة.

□■□

واسباب اهتمام الولايات المتحدة بالحادث هو ان المنطقة التي انتشر فيها الوباء تحتوي على معهد علم الاحياء المجهرية والفيروسات. وهذا المعهد مؤسسة عسكرية تابعة لوزارة الدفاع السوفيتية، يقع في الطرف الجنوبي الغربي من مدينة فيردلوفسك، وهو مختص بانتاج الاسلحة الجرثومية.

وتقول مصادر وزارة الدفاع الاميركية ان ما حدث في اوائل ابريل ١٩٧٩ في فيردلوفسك يمكن تلخيصه بما يلي:

كان الباحثون في المعهد ينتجون كمية من بذور وباء الجمرة، على شكل مسحوق جاف، عندما انفجر احد اجهزة الضغط في المعامل، وانطلق ما يعادل عشرة كيلوغرامات من الجراثيم، ادت الى تلوث منطقة يتراوح قطرها بين ٤ ـ ٦ اميال.

وخلال اسبوعين من الحادث (وهي الفترة اللازمة لحضانة الجراثيم وتطورها في الجسم) اصيب ما يزيد عن ١٠٠٠ مواطن سوفيتي بالمرض، قضى بعضهم عن طريق تناول الاغذية التي تلوثت برواسب الجراثيم.

وبعد فترة من وقوع الحادث، التقطت الاقمار الصناعية الاميركية صورا للطائرات السوفيتية وهي ترش المنطقة بمواد مزيلة للتلوث، مما يبطل اي زعم بأن اسباب انتشار المرض هي اللحوم الموبوءة.. اذ ما هي الحاجة لرش المنطقة بالمواد المزيلة للتلوث، اذا كانت اللحوم هي السبب.

□■□

ويبدو ان الاجراءات الوقائية التي اتخذتها الحكومة السوفيتية فور وقوع الحادث لم تفلح في ازالة اضراره، كما ان حملات التطعيم الجماعي التي نظمتها دوائر الصحة كانت محدودة الفاعلية.. يضاف الى ذلك ان التكتم الذي فرضته الحكومة على الحادث حال دون حدوث ذعر جماعي بين المواطنين، كما حدث عند انفجار مفاعل شرنوبيل عام ١٩٨٦. وقد سجلت اقمار التجسس الاميركية ان عمليات احتواء ذيول الحادث استمرت لغاية يوليو ١٩٧٩.. بينما استمرت عمليات الفحوصات لغاية خريف ذلك العام.

□■□

ويقول الخبراء ان الابحاث الخاصة بالاسلحة الجرثومية قطعت مرحلة متطورة جدا، بحيث ان هذه الاسلحة التي لا يحتاج انتاجها الا لميزانيات منخفضة جدا باتت تشكل خطرا على الجنس البشري، يزيد عن خطر الاسلحة النووية.

وتقول المخابرات السوفيتية ان جرثومة مرض الايدز انتجت في مختبرات وكالة المخابرات الاميركية (CIA) وتسربت الى الخارج بطريقة مشابهة للطريقة التي تسربت بها جرثومة الجمرة في مدينة فيردلوفسك السوفيتية، وبذلك كان المواطنون الاميركيون هم الضحية الاولى للسلاح الجرثومي الذي كانت مخابراتهم ترغب في استعماله ضد الاخرين. ولكن الاوساط العلمية لا تأخذ هذا الاتهام على محمل الجد، خصوصا وان مرض الايدز انتشر اول ما انتشر في افريقيا الوسطى وليس في اميركا.

ويمتلك الاتحاد السوفيتي عددا من معاهدة الابحاث قادرة على انتاج وتطوير اسلحة جرثومية تنشر العديد من الامراض، وتوكسينات ميكروبية وحيوانية. وهنالك ابحاث في مجال البيولوجيا الجوية، وفيزياء الغيوم، والاوبئة المحمولة جوا وغيرها من الجراثيم التي تستخدم في الاسلحة البيولوجية. وتشرف وزارة الدفاع السوفيتية بشكل مباشر على هذه المعاهد وتمول ابحاثها.. الى جانب عدد من المؤسسات التي تنتج الوسائل التي تنقل هذه الاسلحة. ويعتبر معهد علم الاحياء المجهرية والفيروسات في فيردلوفسك من اشهر هذه المعاهد..

وينتج الاتحاد السوفيتي الى جانب وباء الجمرة، جراثيم التلرنايت التي تؤدي الى الاصابة بحمى متقطعة، والطاعون، والكوليرا، والغازات السامة.

□■□

ومن المؤكد ان انتاج الاسلحة (سواء كانت نووية او كيماوية او جرثومية او عادية) هدفه تحقيق التفوق على الخصوم.. وفي هذا المجال تبذل الولايات المتحدة جهودا مماثلة للجهود التي يبذلها الاتحاد السوفيتي.. فقد ذكرت النيويورك تايمز مثلا ان ادارة ريغن تمكنت من الحصول على موافقة الكونغرس عام ١٩٨٣ لتخصيص ٨١٠ ملايين دولار لانتاج الاسلحة الجرثومية.. وقد سبق للحكومة الاميركية ان انفقت ٤٥٥ مليون دولار عام ١٩٨٢ على الغاية ذاتها، وذهب قسم كبير من هذه المبالغ لانتاج نوع من المواد السامة الكيماوية ذات التأثير العصبي الذي يؤدي الى الشلل، فاذا دخلت قطرات من هذا السائل في جسم الانسان فانها تشله عصبيا شللا تاما.

ومن المعروف ان عقار ال.اس.دي L S D للهلوسة انتجه العلماء الاميركيون لصالح وكالة المخابرات المركزية والبنتاغون، وكذلك عقار المسكالين.. وغيرهما.

وقبل مدة نشرت جريدة كابول نيوز تايمز الافغانية مقالا بقلم رئيس تحريرها عبدالعزيز دابيتار جاء فيه «وعلمنا ان وكالة المخابرات المركزية الاميركية بدأت بتنفيذ «خطة واشنطن» التي سقط على اثرها عدد كبير من الافغانيين اثر اصابتهم بأمراض مفاجئة.. فقد قام علماء البيولوجيا العاملون من وحدة المخابرات المركزية الاميركية في لاهور، والذين وصلوا الى لاهور بدعوى مكافحة الملاريا، بينما هم يقومون في الحقيقة بدراسة فعالية بعوض جديد ولدوه في مختبراتهم، يحمل الجراثيم والفيروسات المميتة والمعدية.. وينتظر هؤلاء فرصة الهجرة الموسمية من باكستان الى افغانستان لرعاية الماشية، لتلويث الرعاة الباكستانيين والافغانيين والماشية التي يرعونها».

ويكشف الصحافي السوفيتي يون اندرونوف المراحل التي تتم حولها عملية توليد هذا النوع من البعوض.. فيقول:

«تمر عملية تلويث البعوض بالفيروسات التي تحمل المرض بصورة سرية داخل غرف عزل وكل انثى من اناث البعوض تبيض ١٢٠ بيضة.. فلو ضربنا هذا العدد بعدد الاباث البالغ ١٠٠٠ بعوضة، لوصل العدد الى ١٢٠ الف بعوضة في اليوم.. وهذا العدد كثير اذا علمنا ان كل بعوضة ملوثة تقتل الانسان فور ملامستها لجلده».

وذكرت الصحف الباكستانية ان «مئات اللاهوريين الذين يعيشون على مقربة من مركز البحوث الطبية شاهدوا اعدادا هائلة، وغير اعتيادية، من البعوض غير المألوف في المنطقة.. انتشرت على اثرها امراض غريبة سارية، مثل اليرقان الاصفر، والتهاب الكبد، والحمى الصفراء مرة واحدة».

ومن المعروف ان الولايات المتحدة ألقت عام ١٩٧١ على كوبا عصيات الطاعون الخنزيري، قتل على اثرها نصف مليون حيوان كوبي، وبعد ذلك بفترة اصيب محصول السكر، ثم محصول التبغ. وكانت اميركا تستهدف من وراء ذلك كله اشاعة الاضطراب الاقتصادي في كوبا.. وفي عام ١٩٧٤ اعيد نشر الطاعون الخنزيري وفي عام ١٩٧٥ انتشر وباء حمى دينغ.. وظهرت امراض سارية مرة اخرى.

□■□

وفي الاتحاد السوفيتي يتم انتاج كميات وفيرة من العوامل الجرثومية للاسلحة البيولوجية يتم عبر سلسلة من عمليات التخمير.. حيث تتكاثر الجراثيم الى حد بعيد.. وعندما توضع كمية من هذه الجراثيم في قنبلة مثلا، فانها تتحول الى سلاح بيولوجي.. وجرثومة داء الجمرة يمكن انتاجها بعد ٩٦ ساعة من التخمير.. والمعروف ان الجرثومة الواحدة تتكاثر بعد ٣ ساعات الى ٥١٢ جرثومة وبعد ١٠ ساعات تصبح ١,٠٧٢,٠٠٠,٠٠٠ جرثومة.

وخلال فترة دورة النمو، تكون جرثومة الجمرة مستقيمة على شكل حرف «أ»، وعند نهاية فترة النمو يمكن تحويلها الى بذرة جرثومية عن طريق الحرارة، او عن طريق الصدمة الكيمياوية. والبذرة الجرثومية هي التي يتم زرعها في السلاح الجرثومي.. وهي تقاوم الحرارة، والمواد المطهرة، وضوء الشمس، وغيرها من العوامل البيئية..

وعندما تدخل بذرة الجرثومة الى الجسم عن طريق التنفس، تعود الى شكلها المستقيم الاول، وتبدأ بالتكاثر، داخل الجسم، وتنتج توكسينا قاتلا.. وعندما تدخل الجرثومة الجسم عن طريق الفحم، مع الغذاء، تكون نسبة الوفاة تعادل ٧٠٪، اما عندما تدخل عن طريق التنفس فان نسبة الوفاة تصل الى ١٠٠٪ للحتى ولو بدأ العلاج في الوقت المناسب.

وبالرغم من ان جرثومة الجمرة حساسة تجاه البنسلين فان نجاح العلاج يعتمد على قتل الجراثيم قبل ان تتمكن من انتاج كمية كافية من التوكسين.. واذا اصابت الجرثومة الجلد، فانها قد تؤدي الى الوفاة، عن طريق دخولها الى مجرى الدم، اذا لم يبدأ العلاج على الفور، وتعتبر المضادات الحيوية، الى جانب البنسلين، فاعلة في العلاج.

وبذور جرثومة الجمرة يمكن انتاجها في المعامل على شكل سائل، او على شكل مساحيق جافة، وبالرغم من انها تقاوم العوامل البيئية، فانه يمكن قتلها عن طريق المطهرات القوية، او عن طريق الحرارة العالية.

□■□

وفي الجيش السوفيتي هنالك وحدة خاصة للحرب الكيماوية.. وبالرغم من ان هذه الوحدة تحمل إسم «الحرب الكيمياوية» الا ان مهمتها هي التاكد بأن القوات السوفيتية العادية تستطيع تأدية مهماتها على ساحات المعارك، حتى في الاجواء الملوثة بالغبار النووي والجرثومي والكيمياوي.. وتحتوي هذه الوحدة على ٤٥ الف ضابط وجندي في وقت السلم. ويقوم هؤلاء بالمهمات الاستطلاعية، ومهمات ازالة التلوث وهم يتبعون قوات المشاة.. وهنالك وحدات مشابهة في كل سلاح من الاسلحة السوفيتية. وبشكل عام، تشتمل مهمة هذه الوحدات ما يلي: تطوير الاسلحة الجرثومية والكيمياوية، واختبارها، وتخزينها، وتقديم المشورة الفنية لقادة الوحدات على ارض المعركة، حول استخدام وفاعلية الاسلحة الجرثومية، واجراء الابحاث والتطوير الخاصين بانتاج الاقنعة الواقية، وتدريب القوات على الصمود في المعارك وسط الاجواء الملوثة بالجراثيم، والقيام بعمليات الاستطلاع وازالة التلوث.

ويمتلك الخبراء في الوحدات الكيمياوية ما يعادل ٣٠ الف آلية مصممة خصيصا للقيام بعمليات



● لباس خاص واقنعة واقية ضد المواد الكيماوية



● القنابل الغازية تحولت بنسب ضئيلة الى سلاح يستخدمه رجال الامن لتفريق المظاهرات

تأثيرها يستمر لمدة ١٥٠ سنة.. على الأرض والانسان

الخيار الجرثومي مفتوح أمام الدول الكبرى

استخدمت اليابان السلاح الجرثومي في الاربعينات في الصين.. حيث جربته على الاسرى والمساجين، بصورة عملية.. كما انها استخدمته ضد الاسرى الاميركيين.. وكان اليابانيون يبحثون في ذلك الحين، بشكل محموم، عن وسائط قادرة على تحقيق خطط اليابان بالسيطرة على العالم، تلك الاحلام التي كانت تدور في رؤوس الجنرالات اليابانيين منذ عام ١٩٢٧. فقد ذكر الجنرال تينيتي تانكا، في رسالة وجهها للامبراطور الياباني هيروهيتو، ووردت في مذكراته الشخصية «من الضروري ان نحتل الشرق الاقصى السوفيتي، ومنشوريا والصين، والهند، وسحق الولايات المتحدة الاميركية وهزمها، ثم احتلال العالم كله بعد ذلك».

□■□

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وضعت الولايات المتحدة يدها على «المراكز العلمية الخاصة» اليابانية وألقت القبض على بعض العلماء اليابانيين، ومنهم الجنرال ايشي ستيرو، الذين تحدثوا عن تجاربهم العلمية على الاميركيين والصينيين، وقد نقلت اميركا جميع ما تحتويه المختبرات اليابانية، بما في ذلك العلماء الى الولايات المتحدة.

وفيما بعد، تبين للاميركيين ان العلماء اليابانيين يملكون خبرات واسعة تنقصهم في مجالات الاسلحة الجرثومية.. ولذلك سمحت لهؤلاء العلماء بمتابعة ابحاثهم.. وكان المركز الذي نقلوا اليه هو مركز بحوث نورديتريك.. وكان الجنرال هيغ، قائد قوات حلف شمال الاطلسي الاسبق ووزير الخارجية السابق احد ابطال هذا السلاح، فبعد تخرجه من الاكاديمية العسكرية في وست بوينت عين نائبا لقائد القوات الاميركية في اليابان الجنرال ماك ارثر.. وكلف بمهمة نقل ترسانة اليابان من الاسلحة الكيماوية والجرثومية الى الولايات المتحدة.

□■□

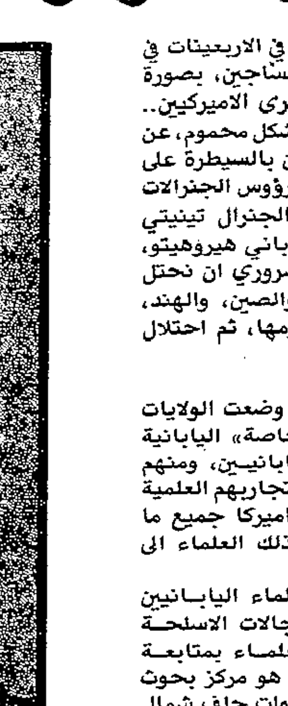
ومن الامور الثابتة التي لا تقبل الجدل ان الولايات المتحدة استخدمت الحرب الجرثومية في فيتنام ضد الاشخاص والنباتات على حد سواء.. فقد ذكرت مجلة نيويورك تايمز ان الولايات المتحدة استخدمت المواد التي تعري الاشجار والنباتات من اوراقها كما انها استخدمت بعض المواد الجرثومية على الاشخاص لتجربة تاثيرها.

وهنالك وثائق دامغة حول هذا الامر.. ففي ١٩٨٢/١٢/١٧ ادلى مساعد وزير الدفاع الاميركي لشؤون البحوث العلمية والتكنولوجية بشهادة امام مجلس الشيوخ تحدث فيها عن الاموال «التي انفقت على الدفاع الكيمياوي والجرثومي لتحقيق برامج عام ١٩٨١».

وتنبئنا احدى الوثائق التي نشرتها لجنة نزع السلاح رقم س د/٨٢ «انه في فيتنام وحدها نثرت الطائرات الاميركية اكثر من ١٠٠ الف طن من المواد السامة في سماء فيتنام. كانت نتائجه تحول اكثر من ٤٣٪ من الاراضي الصالحة للزراعة في فيتنام الى صحارى. ملايين هكتارات الغابات الاستوائية دمرت عن بكرة ابيها، وقتل ملايين الماشية، وفقدت الاعشاب من سطح الارض». وقد ذكرت مجلة «نيويوك تايمز»: ان استخدام مسقطات اوراق الاشجار الكيميائية، ومزيلات الاعشاب التي تقضي على جميع الاحياء مع النباتات في الهند الصينية ثبت بما لا يقبل الشك. تعمل هذه المادة السامة على مبدأ «ايجنت الاورانج» اي ـ عامل البرتقال ـ ويتلخص بما يلي:

ترش الطائرة فوق الاماكن المأهولة بالسكان، والحقول والغابات مواد تعرية الاشجار والنباتات من اوراقها فتتراكم هذه المواد بعد سقوطها على النباتات وتتحول الى مادة جديدة تدعى «ديوكسين» وهي تؤثر على عضوية الانسان والحيوان اكثر من الزرنيخ، او انواع السموم الاخرى كالسياتور وغيره من السموم الفتاكة.

وكتبت مجلة شتيرن الالمانية انه منذ شهر كانون الثاني/ يناير عام ١٩٧١ اعطت وزارة الدفاع الاميركية تعليمات الى ادارة مخابرات الوزارة امر بدء عملية التفاعل البرتقالي. بعدها قتل الاف من الشيوخ والنساء والاطفال الفيتناميين بأنواع الامراض المختلفة، ولكن ظهر ان بعض القوات الاميركية، اصيبت ايضا بسبب اخطاء وقعت في تحديد اماكن توجيه المواد السامة. بعد ذلك صدرت أوامر البيت الابيض بايقاف عملية التفاعل



● القنبلة الجرثومية تطلق بواسطة مدافع خاصة على غرار القنابل العادية فتنفجر وتنتشر الجراثيم

البرتقالي، استمر استخدام المواد السامة في فيتنام ١٦ عاما بدءا من طيران اول طائرة رش المواد السامة في ٢٤ اغسطس ١٩٦١ واستمر الى نهاية عام ١٩٧٥ رغم تحريم ذلك في المواثيق الدولية. وسميت تلك الحرب بالحرب غير المعلنة ضد الشعب الفيتنامي.

لقد دمرت في تلك الحرب الغابات الفيتنامية، وحقول الارز لتجويع بقايا الشعب الفيتنامي الذي لم يمت بالحرب الكيميائية.

لقد اثرت الحرب الجرثومية غير المعلنة على فيتنام من الناحية الاقتصادية فقد غيرت البيئة في فيتنام بعد تعريتها من النباتات كما اثرت هذه الحرب على الجينات الوراثية للشعب الفيتنامي، واصبح اشد تعرضا للامراض ولفقدان المناعة وخاصة الاطفال والشباب. فان العلماء الذين درسوا تاثيرات الحرب الجرثومية في فيتنام بأنها لا تقل عن تاثيرات القنبلتين النوويتين اللتين استخدمتا من قبل الولايات المتحدة ضد ناغازاكي وهيروشيما اليابانيتين في نهاية الحرب العالمية الثانية. فقد ولدت الامهات الفيتناميات ملايين الاطفال المشوهين والعجز. وان هذا التاثير حسب رأي العلماء سيستمر ١٠٠ عام او ١٥٠ عاما على البيئة الفيتنامية وعلى الانسان الفيتنامي.

واستطاعت مراكز البحوث البيولوجية الاميركية التي تنفق عليها وكالة المخابرات المركزية الاميركية من استنباط جراثيم جديدة لا تؤثر الا على الاشخاص سود البشرة، او السمر. وقد اطلق على هذه الجراثم اسم كوكسيل، حسب تصريح البروفسور البيولوجي كونادير.

فقد جرى تجريبها خمس مرات على رجال فلم تصبهم بأذى. هذه المستحضرات موجودة تحت تصرف البنتاغون والقوات الخاصة وهي تخزن في صناديق خاصة لدى القوات البحرية الاميركية في اوكلاند ـ كاليفورنيا ـ ولكن ما هي حاجة الولايات المتحدة الى مثل هذه الجراثم التي تميز بين الاسود والبيض، والاشقر والاسمر. هل مثلا من اجل ابادة السكان السود في افريقيا الجنوبية، وانقاذ البيض، ليصبح البيض اغلبية السكان.

وذكر نائب رئيس وكالة المخابرات المركزية السابق فرانك كارلوتشي عام ١٩٨١ الذي كان في وظيفته تلك عام ١٩٧٨، ثم اصبح معاونا لوزير الدفاع الاميركي. ان: مسالة استخدام السلاح الجرثومي اصبحت مفتوحة للولايات المتحدة.. انما كلمة مفتوحة تعني انها قد قررت من قبل الحكومة الاميركية ايا كانت، وانه يمكن الاعتماد عليها في الحرب المقبلة.

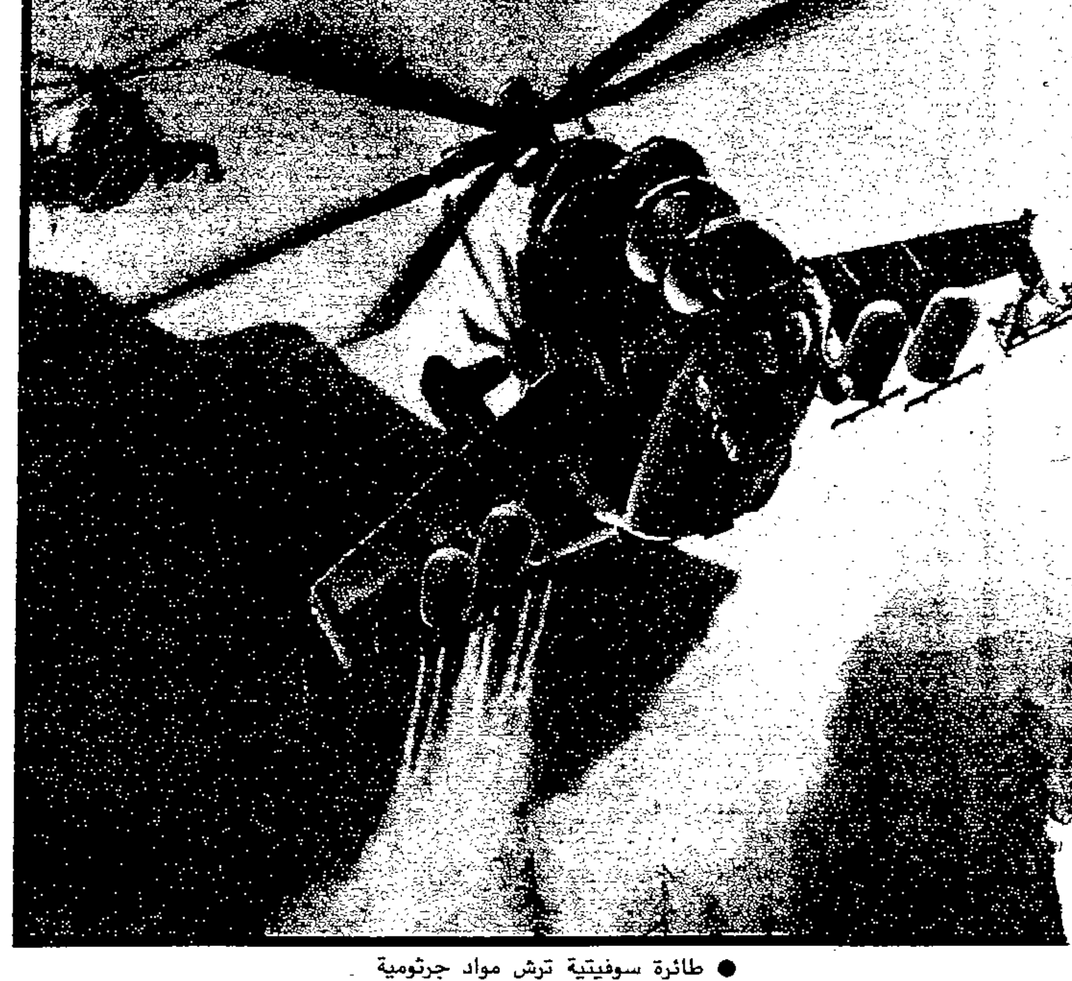
تعمل بعض مخابر الولايات المتحدة الخاصة والحكومية بلا هوادة على تحضير وتجريب البرامج السرية الاميركية مثل دراسة فيروس الطاعون وغيرها من الفيروسات القاتلة والجراثيم، والعصيات وغيرها.

لنعد قليلا الى الوراء.. لقد كتب الصحافي الانكليزي الشهير جيرمان باكسمان كتابا دعاه: ـ أعلى اشكال القتال ـ بين فيه تاريخ الجهود البريطانية التي تعود الى سبعين عاما خلت حول تحضير الحرب الجرثومية، والحرب الكيميائية والنووية ـ اسلحة التدمير الشامل ـ بين فيه ان السلاح الكيميائي قد استخدم عام ١٩١٩ ضد الجيش الاحمر من قبل القوات الانكليزية التي كانت تعاون الجيش الابيض. وان هذه السموم الكيميائية قد استخدمت بالتحديد ضد ارخانفلسك بواسطة الطائرات الانكليزية، قتل على اثرها الاف الجنود السوفيت الحمر وعدد كبير من المدنيين.

وهكذا نجد ان هذا السلاح الذي بدأ ايضا الالمان ـ بروسيا ـ باستخدامه في الحرب العالمية الاولى، ومن قبل الانكليز والفرنسيين بعد ذلك، ليس بالسلاح الجديد.

ان الاحتياطات الحالية من غازات الاعصاب والتي تشل الاعصاب لدى الولايات المتحدة وحدها كافية لقتل اربعة اضعاف البشر الموجودين فوق الكرة الارضية كلهم دون استثناء.

بدأت الولايات المتحدة في عام ١٩٨٢ اقامة معمل باين ـ بلاف ـ ولاية اركنساس ـ للمواد السامة الكيميائية الجديدة تماما. حيث ينتج مواد سامة منفصلة بحيث ان اي قسم من هذه المواد لاتعتبر مادة سامة بمفردها ولكنها عندما تتحد ببعضها فانها تصبح مادة سامة، واطلق عليها اسم المواد السامة ـ الثنائية ـ وهي تفصل عن بعضها داخل القذائف، والقنابل وعندما تصبح هذه القذائف والقنابل على ارتفاع معين يزول بفعل الثقالة او غيرها الحاجز الفاصل بين هاتين المادتين وتمتزجان لتشكلا مادة سمية كيميائية فتاكة. ينتج هذا المصنع ٧٠ الف قذيفة كيميائية من هذا النوع في الشهر، وقد لحظت في ميزانية عام ١٩٨٣ مبالغ طائلة لانتاج المواد السامة، وخاصة الغازات الشالة للاعصاب وللحرب البيولوجية وتابعت ذلك في ميزانية عامي ١٩٨٤ و١٩٨٥ العسكرين.



● طائرة سوفيتية ترش مواد جرثومية

تطلاع وازالة التلوث.. وهنالك مناطق خاصة للتدريب.. وبالاضافة الى ذلك، فان السوفيت لكون لقاحات خاصة للوقاية من الامراض التي بها الاسلحة الجرثومية التي يستخدمونها.. ذلك مرض الجمرة، والطاعون، والحمى تطعة، والكوليرا، والغازات السامة.. كما ان خاص الذين يعملون في انتاج، او نقل المواد لحة الجرثومية، والاشخاص الذين يعيشون في التي تحتوي على معامل لانتاج الجراثيم ما يتلقون تحصينا، ومتابعة طبية مستمرة، سهم يستخدم الاقنعة في عمله.

□■□

والابحاث السوفيتية في مجال التكنولوجيا يوية مستمرة منذ عقود، وهذه الابحاث مفيدة نسانية من ناحية واحدة هي السيطرة على راض السارية، والتوصل الى علاج لها، وقد اسهم لماء اسهاما كبيرا في هذا المجال، وقدموا لهمات كبيرة للانسانية وكان لهم تاثير كبير على رح العالمي.. اذ ان خبرتهم في سلوك البكتيريا، فيروسات كبيرة جدا، وقد ساهمت في حل الكثير مشاكل الانسانية والسيطرة على الكثير من راض.

يمتلك السوفيت، بشكل خاص، خبرة واسعة في ال التكنولوجيا الحيوية الصناعية التي يعود جودها في الاتحاد السوفيتي الى الحرب الثانية.. اثناء حصار ستالينغراد كان الوحيد الخلية المستخرج من الخشب دم كغذاء.. ومنذ ذلك الحين طور السوفيت للتكنولوجيا، بحيث اصبحت الاكثر تطورا في م. وهم ينتجون سنويا ما يزيد عن مليون طن لبروتينيات تستخدم كاعلاف للحيوان.. والطن حد من هذه المواد يوفر على السوفيت ستة اطنان الحبوب كان ينبغي عليهم استيرادها ودفع نها بالعملة الصعبة، كغذاء للحيوانات.

ادى تطور الاتحاد السوفيتي في التكنولوجيا حيوية الصناعية الى تفوقه في انتاج الفيتامينات والحيوية، واللقاحات، ووسائل تشخيص لاج الامراض السارية.

يولي الاتحاد السوفيتي اهتماما كبيرا تكنولوجيا الحيوية الصناعية.. وهندسة ينات (التي احرزت الولايات المتحدة تقدما كبيرا خصوصا وان السوفيت بحاجة الى استخدام التكنولوجيا لتحقيق تقدم في الانتاج الزراعي، الدول الغربية.. ولذلك فان السوفيت اعلنوا ١٩٧٤ ان تطوير التكنولوجيا الصناعية ية يحتل قمة الاولويات بالنسبة لهم، وعادوا ذلك مرة ثانية عام ١٩٨١.. واحرزوا منذ الحين تقدما كبيرا في هذا المجال.

□■□

التكنولوجيا الحيوية مجال واسع جدا، وله ميات كثيرة.. وقد بدأ هذا العلم بمفهومه الحديث ١٩٧٣، عندما تمكن العلماء، ولاول مرة من ت تغيير في جينات الخلايا.. وهنالك الان ما لى ١٨٠٠ شركة خاصة في العالم الغربي تعمل مجال استخدام هندسة الجينات لتحقيق التطور اعي والصحي في دولها وانتاج البروتينات علاف حيوانية، ومعالجة النفايات الصناعية.. وقع هذه الشركات ان تبلغ ارباحها ١٠٠ مليار م نهاية هذا القرن.

لشؤون العسكرية، فتحت التكنولوجيا ة مجالات واسعة امام الدول الكبرى لزيادة ا من الاسلحة.. اذ ان الجراثيم التي اصبح مكافحتها يمكن ان تستخدم بعد ادخال عليها، لانتاج امراض لا يمتلك الخصم ا، بل انها غير معروفة لديه.. ومن الامثلة البعوض الذي نشرته وكالة المخابرات في لاهور، وادى الى وفاة العديد من ، بسبب عدم جدوى اللقاحات في

□■□

مات تكافىء العلماء على ابحاثها الناجحة الحرب الجرثومية.. ومثال على ذلك فقد ارة الدفاع الاميركية عالما كبيرا من علماء ورث ديتريك بأرفع وسام عسكري يمنح الى ص مدني، لاكتشافه نوعا من القطريات تطيع تخريب محاصيل الارز ويقضي عليها قضاء وقد استخدمت الولايات المتحدة هذا النوع من ق في فيتنام.

لو كانت جميع بكتيريا مرض معين متماثلة لامكن لجتها بمضاد حيوي واحد.. ولكن الامر اكثر يدا.. ففي اي انقسام للبكتريا (تنقسم عدة مرات في الساعة) تنتشر تحولات جديدة تخزن القدرة الكاملة على انتاج بكتيريا جديدة في لفائف الحمض النووي (DNA) في كل سلالة (جين) من الجراثيم الناتجة عن الانقسام السابق.. فليس الحمض النووي على غرابته وتعقيداته، الا مركبا كيميائيا ضمن سلسلة الاحماض الامينية، يمكن ان يتغير كغيره من المركبات الكيمياوية.

وقد استطاع السوفيت توليد فيروسات ذاتية التدمير.. اي انها تدمر نفسها بنفسها.. فهي بعد ان تفتك باعداد كبيرة من سكان وعسكريي العدو تاخذ في تدمير نفسها لتصبح عديمة الاذى بعد عدة اجيال من الانقسامات التحولية.. والجيل لا يستغرق في حياة الجراثيم اكثر من عدة ايام.. فتصبح الاراضي والجثث التي فتك بها الفيروس غير ملوثة، وتعود الى حالتها الطبيعية، وتصبح آمنة للدولة التي استخدمتها، فتستطيع احتلال هذه الاراضي دون ان تخشى فتك الفيروسات بها.

وهنالك فيروس استنبتته المخابرات الاميركية قادر على احداث تغيرات عرقية في المصابين به.. كأن يبيد ابناء الجنس الاصفر.. او الهنود الحمر.. دون ان يفتك بالاجناس الاخرى.

□■□

وتشير دراسة كندية الى انه يمكن تحميل الجراثيم المفيدة الموجودة داخل الجسم، والتي تساعد على التخمر وعلى تسهيل عمليات الهضم، وتحويل المواد الهضمية الى مواد سكرية.. الى مواد فتاكة في جسم الانسان عن طريق زرع مواد كيماوية معينة في المياه التي يشربها الانسان.. فتصبح هذه المياه سببا في تحويل الجراثيم النافعة الى جراثيم فتاكة.. وتقضي على الانسان قضاء تاما.. ويعدي آخرين بالجراثيم حتى ولو لم يتناولوا الماء الذي شرب هو منه.

وهكذا نستطيع ان نقول ان السلاح البيولوجي هو من اخطر الاسلحة الموجودة على سطح الارض قاطبة.. بل ان الدول الكبرى يمكن ان تستخدم الجراثيم لافساد مخزون بعضها البعض من الاسلحة النووية.. فاذا استطاعت هذه الدول انتاج جراثيم تتغذى على المواد المشعة.. او المواد المتفجرة.. فانها تستطيع، دون عناء، ادخال هذه الجراثيم الى مخازن العدو التي يخزن فيها صواريخه ومتفجراته.. فتاكل جميع ما تحتويه هذه المستودعات من مواد متفجرة.

ولادخال الجراثيم المولعة بمادة الـ تي.ان.تي الى مستودع.. يكفي ان تلوث انسانا بهذه الجراثيم.. التي لن تؤذيه.. فيحمل العدوى الى جسم انسان آخر يعمل في هذه المستودعات.. وهكذا.. ومع تنفس كل انسان مصاب بعدوى هذه الجرثومة غير المؤذية للانسان.. تبدأ القنابل وحشواتها من المواد المتفجرة بالتعفن والاضمحلال تدريجيا بسبب نهم البكتيريا الى مادتها المفضلة.. اي المواد المتفجرة.

ولما كانت جميع القنابل الهيدروجينية والنووية والنيوترونية تحتوي فيما تحتويه على مواد متفجرة لجعل المواد المشعة التي تحدث التفاعل النووي في وضع العمل.. عن طريق التفجير بالمتفجرات العادية.. فانها ايضا تتعرض للتخريب، دون ان يشعر احد بذلك.. فتصبح هذه القنابل عديمة الجدوى، كذلك، يمكن تعويد جرثومة ما على حب المواد المشعة، كالبلوتينيوم وغيرها من المواد، فتاكل الجرثومة المادة، وتصبح القنابل غير ذات نفع.

□■□

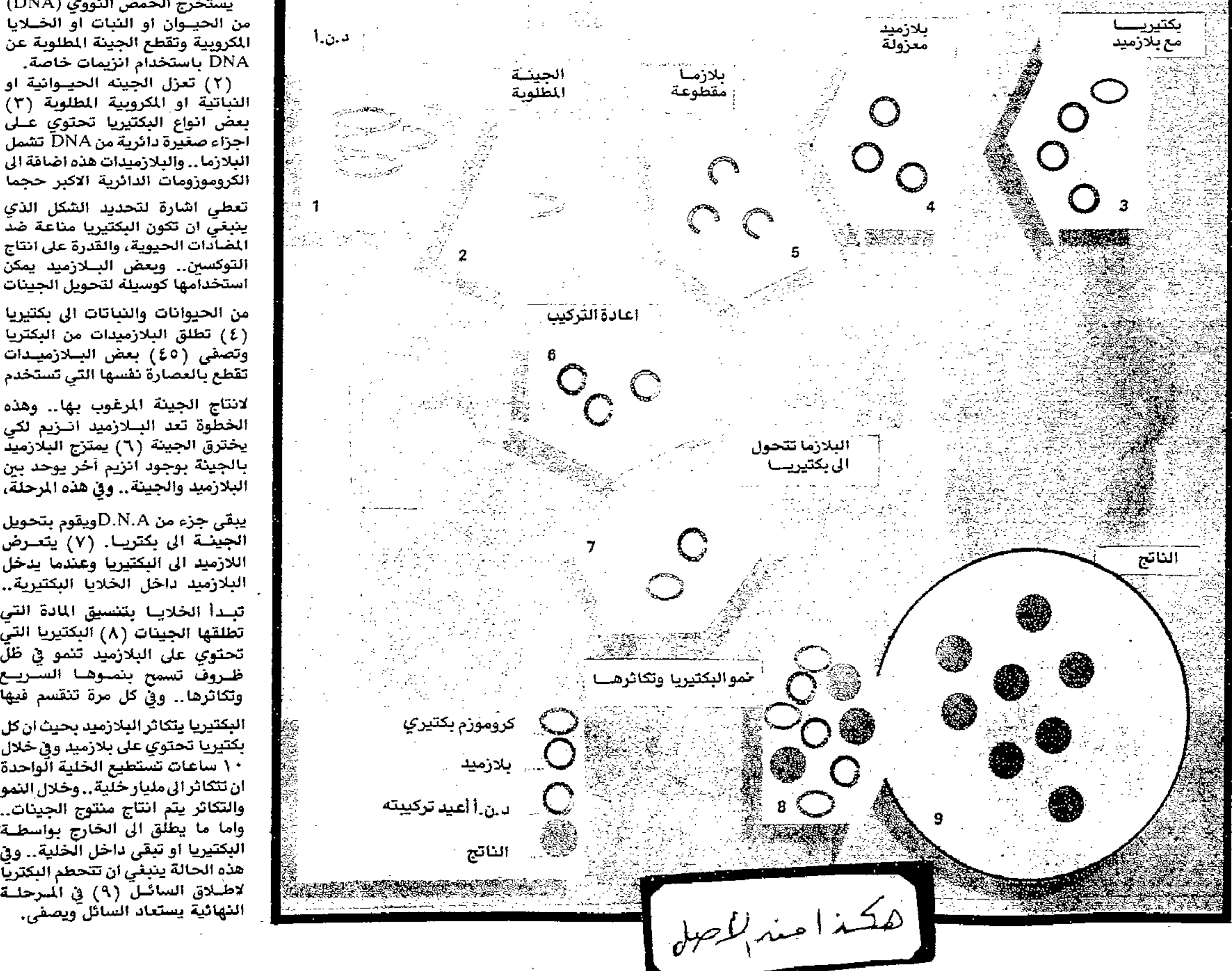
والآن، ماذا تحضر اسرائيل للعرب من هذه الاسلحة؟

من المعروف ان معهد التخثيون الاسرائيلي في مدينة القدس يضم لفيفا من العلماء الكيميائيين والبيولوجيين.. وان اساتذة زائرين يحضرون من الولايات المتحدة لتقديم خبراتهم في حقول الحرب الجرثومية.. وخصوصا بعد الاتفاق الموقع بين الولايات المتحدة واسرائيل.

ومن المعروف ان اسرائيل استخدمت الحرب البيولوجية ضد الطالبات العربيات في احدى المدارس في فلسطين المحتلة عام ١٩٨٣.. وهذا يدل على انها استخدمت الجراثيم، او الفيروسات بقصد التجربة على عينات بشرية حية.. فهي لا ترعوي عن ذلك، لانها تؤمن بضرورة القضاء على السكان الفلسطينيين الذين يعيشون في الاراضي المحتلة. واسرائيل تعد العدة لاستخدام الاسلحة البيولوجية ضدنا.. ولوقاية نفسها منها.. بينما نحن نبقى في وضعنا السلمي لا نفكر الا بتامين السلاح التقليدي الذي نظن انه كاف لكي يحفظ لنا امننا.

صالح الخريبي

مراحل انتقال الجينات



يستخرج الحمض النووي (DNA) من الحيوان او النبات او الخلايا المكروبية وتقطع الجينة المطلوبة عن DNA باستخدام انزيمات خاصة.

(٢) تعزل الجينه الحيوانية او النباتية او المكروبية المطلوبة (٣) بعض انواع البكتيريا تحتوي على اجزاء صغيرة دائرية من DNA تشمل البلازما.. والبلازميدات هذه اضافة الى الكروموزومات الدائرية الاكبر حجما

تعطي اشارة لتحديد الشكل الذي ينبغي ان تكون البكتيريا مناعة ضد المضادات الحيوية، والقدرة على انتاج التوكسين.. وبعض البلازميد يمكن استخدامها كوسيلة لتحويل الجينات

من الحيوانات والنباتات الى بكتيريا (٤) تطلق البلازميدات من البكتريا وتصفى (٤٥) بعض البلازميدات تقطع بالعصارة نفسها التي تستخدم

لانتاج الجينة المرغوب بها.. وهذه الخطوة تعد البلازميد انزيم لكي يخترق الجينة (٦) يمتزج البلازميد بالجينة بوجود انزيم آخر يوحد بين البلازميد والجينة.. وفي هذه المرحلة،

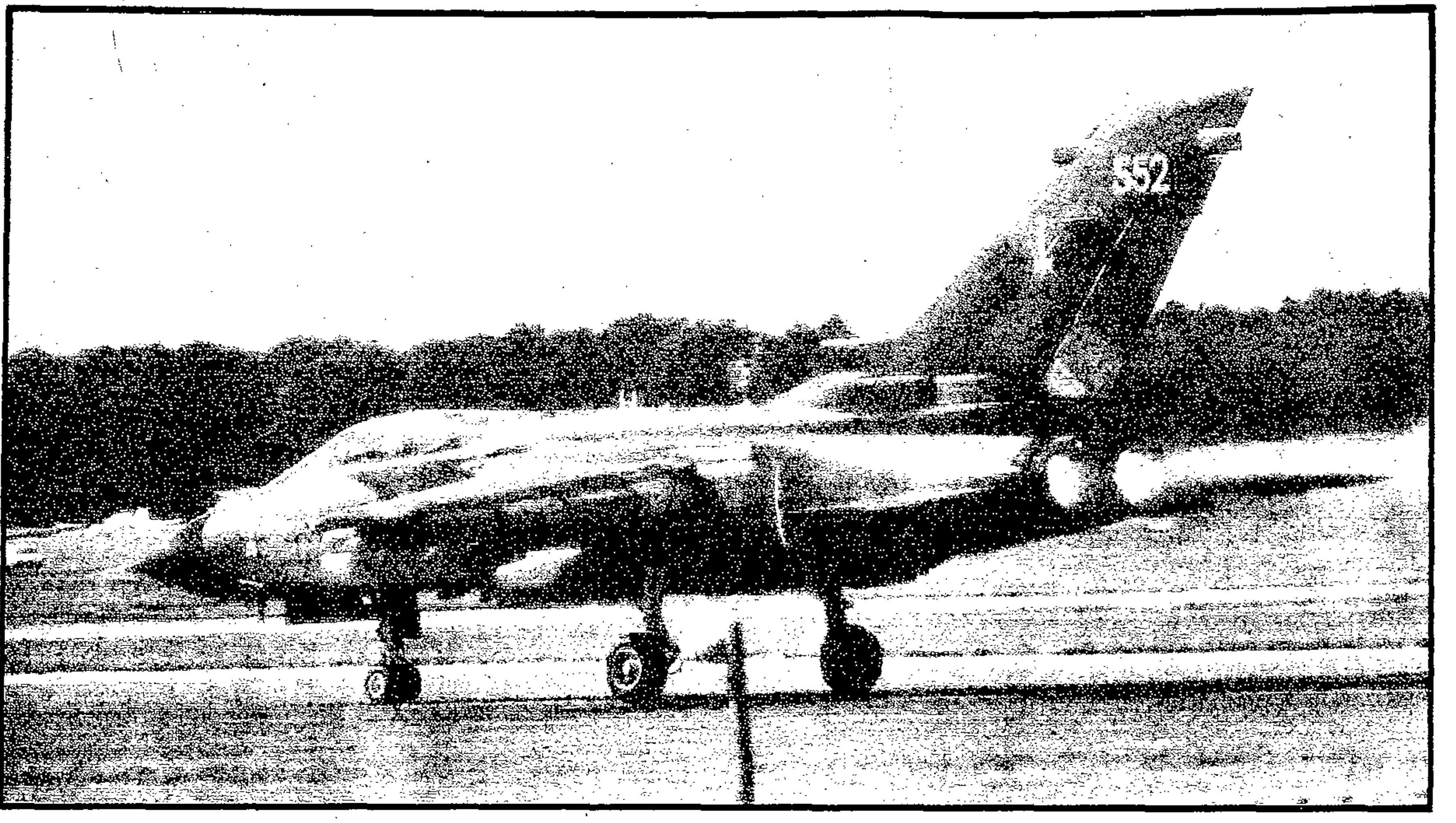
يبقى جزء من D.N.A ويقوم بتحويل الجينة الى بكتريا. (٧) يتعرض اللازميد الى البكتيريا وعندما يدخل البلازميد داخل الخلايا البكتيرية..

تبدأ الخلايا بتنسيق المادة التي تطلقها الجينات (٨) البكتيريا التي تحتوي على البلازميد تنمو في ظل ظروف تسمح بنموها السريع وتكاثرها.. وفي كل مرة تنقسم فيها

البكتيريا يتكاثر البلازميد بحيث ان كل بكتيريا تحتوي على بلازميد وفي خلال ١٠ ساعات تستطيع الخلية الواحدة ان تتكاثر الى مليار خلية.. وخلال النمو والتكاثر يتم انتاج منتوج الجينات.. واما ما يطلق الى الخارج بواسطة البكتيريا او تبقى داخل الخلية.. وفي هذه الحالة ينبغي ان تتحطم البكتريا لاطلاق السائل (٩) في المرحلة النهائية يستعاد السائل ويصفى.

مع الحفاظ على الجاهزية الدائمة لكل الاسلحة

الحرب العالمية الثالثة تقليدية لا نووية



● طائرة تورنادو البريطانية

منذ أمد قريب كان المذهب العسكري للولايات المتحدة الاميركية، والاستراتيجية العسكرية لحلف شمالي الاطلسي، يعتبران الاسلحة النووية، واسطة أساسية لتحقيق الاهداف السياسية، والعسكرية - الاستراتيجية في الحرب الشاملة، ضد الدول الاشتراكية: ولكنهما لم يستبعدا نشوب الحرب العالمية، ومع استخدام الوسائط الاعتيادية، وغير النووية دون غيرها. ولكن الحقيقة انه في كلتا الحالتين - النووية، والاعتيادية - ستتحول الحرب العالمية الاعتيادية الى حرب نووية فورا وبعد فترة من الزمن، تستخدم فيها الاسلحة النووية على نطاق محدود في المستوى العملياتي - التكتيكي فقط.

عندما اعتمدت واشنطن في بداية الثمانينات استراتيجية «المواجهة المباشرة» على يد الرئيس ريغن، فانها بذلك تكون السباقة في الاعلان عن توجهها، نحو اعداد ليس فقط الحرب النووية، بل وايضا الحرب الاعتيادية الطويلة المدى.

اذا كان الاعتقاد السابق يقضي بان الحرب التي لا تستخدم فيها الاسلحة النووية، يمكن ان تستمر في حدها الاعظم لمدة شهرين او ثلاثة اشهر، تتوقف بعدها او تتحول الى حرب نووية، الا ان البنتاغون طلع علينا بمفهوم استراتيجي جديد يقضي، بأن تكون الولايات المتحدة الاميركية جاهزة لخوض «حربين غير نوويتين كبيرتين طويلتي المدى»، وكذلك الاشتراك في «النزاعات المسلحة الصغيرة». و«الحرب الكبرى» في المفهوم الاستراتيجي الاميركي هي الاعمال القتالية، في نطاق مسرح الحرب. و«النزاع المسلح الصغير» في المفهوم الاستراتيجي الاميركي، هو الحرب في مسرح الاعمال الحربية، او في منطقة محددة منه.

□■□

عندما أعلنت الولايات المتحدة الاميركية على لسان ادارة الرئيس ريغن استراتيجيتها الجديدة في الثمانينات فقد كانت تنطلق من الحيثيات التالية:

أولا: في حالة تساوي الجانبين في القوى النووية الاستراتيجية، فسوف يكون لتبادل الضربات الكثيفة، عواقب كارثية على الولايات المتحدة الاميركية نفسها.

ثانيا: رفعت، احدى المنجزات المتحققة في تطوير الوسائط الاعتيادية (غير النووية) للصراع المسلح، ومنظومات الاسلحة عالية الدقة، بعيدة المدى، اقول رفعت النتائج التدميرية للاسلحة الاعتيادية الى مستويات الاسلحة النووية التكتيكية.

ثالثا: آثار استخدام الاسلحة النووية الاستراتيجية التي لا يمكن التنبؤ بها، تستدعي مخاوف، حتى عدد كبير من زعماء الدول الغربية، والشك في ان الحرب النووية هي القادرة على حل الجدل التاريخي بين النظامين السياسيين والاجتماعيين - الاقتصاديين العالميين، الرأسمالي والشيوعي.

على هذا الاساس يكون للاعتراف بامكان خوض الحرب العالمية العادية (غير النووية) غاية هي المحافظة على الصراع المسلح باعتباره الوسيلة الرئيسية لتحقيق المرامي الامبريالية.

على هذا النحو تقضي استراتيجية «المواجهة المباشرة» التي جاء بها الرئيس ريغن، بامكان خوض الولايات المتحدة، وحلفائها حربا محدودة او محلية او اقليمية او عالمية اعتيادية شاملة. الحرب الاعتيادية المحدودة يمكن ان تقع في اوروبا، وفي الاطلسي، وفي الشرق الاوسط والادنى، والاقصى. ولكن ما من شيء يحول دون نشوبها في مسارح الحرب الاخرى، وتحولها الى حرب اعتيادية شاملة بين الدولتين العملاقتين.

تحت تاثير قواعد الاستراتيجية الاميركية، تتغير آراء قيادة حلف شمالي الاطلسي بالنسبة الى الحرب الاعتيادية، رغم ان قيادة الحلف تعلن بين الحين والحين رسميا عن ثقتها باستراتيجتها التي تبنتها عام ١٩٧٦ المسماة «الرد المرن».

كما هو معروف يقسم الحلف الاطلسي الحرب ضد الدول الاشتراكية الى نوعين: حرب نووية شاملة وحرب محدودة. في اعتقادهم ان الحرب المحدودة هي كل حرب لاتكون في بدايتها في رقعة حرب نووية شاملة، اي الحرب التي لا يستخدم فيها الجانبان القوى النووية، وأن كان لا مفر بعد فترة من الزمن من تحولها الى حرب نووية شاملة، تضمنها وتحميها «المظلة النووية» الاميركية، وتتحمل الولايات المتحدة مسؤولية متساوية، مع الدول الاوروبية عن مغامراتها النووية.

□■□

ولكن المناورات المشتركة التي اجرتها قوات دول حلف شمالي الاطلسي المسلحة في الاعوام الاخيرة أثبتت بما لا يقبل الشك، ان الولايات المتحدة جعلت الحلف، يغير عقيدته في الحرب المحدودة. وقد مر هذا التحول في مرحلتين:

المرحلة الاولى: وتمت في النصف الثاني من السبعينات، طرحت الولايات المتحدة فيه سؤالا، حول امكانات تحقيق النصر في الحرب المحدودة، الموجهة ضد الدول الاشتراكية في اوروبا. واجابت هي بنفسها على السؤال قائلة:

ان القاعدة المادية المرئية لهذه الحرب، يجب ان تبقى للقوى النووية في مسرح الاعمال الحربية. قدمت الولايات المتحدة للدول الاوروبية برنامج نشر وسائطها النووية - الصاروخية متوسطة المدى من اجل تحقيق غايتها من رفع دول اوروبا الى مستوى نوعي جديد.

المرحلة الثانية: وتمت في النصف الاول من الثمانينات. زجت الولايات المتحدة بمفهوم خوض الاعمال القتالية طويلة المدى مع استخدام وسائط التدمير الاعتيادية (الاسلحة التقليدية) فقط. عقب المنظرون الاميركيون على ذلك قائلين ان امكانات زيادة أمد الحرب الاعتيادية بالاستفادة من التزايد الكبير لكمون الحلف الاطلسي الناجم عن الزيادة النوعية والكمية للاسلحة الاعتيادية، حسب مقتضيات برامج التسليح طويلة المدى لعام ١٩٨٧ للحلف ممكن، فقد قضت البرامج المذكورة بتسليح القوات بأجيال جديدة من الاسلحة: الدبابات م - ١ «ابرامز»، و«ليوبارد - ٢»، و«تشالنجر» ومنظومات المدفعية الصاروخية، والطائرات القتالية اي - ١٠، وف - ١٥ وف - ١٦، وتورنادو التي تتفوق على الاجيال السابقة في المدى، والقوة والتاثير التدميري.

في النصف الثاني من الثمانينات مع ادخال المجموعات الاستطلاعية - الضاربة، بعيدة المدى في تسليح جيوش الحلف، تزايدت امكانات الحلف في خوض الحرب العادية طويلة المدى، بحيث ان المنظرين الاميركيين، تحدثوا عن تزايد مظاهرها الاستراتيجية التي تختلف كثيرا عن الحروب الماضية.

ومع تعاظم مستويات جاهزيات القوات المسلحة لدول الحلف الاطلسي القتالية، والتعبوية، ونعني بذلك تعبئة قوات جديدة، وتزايد فعالية الاسلحة الاعتيادية، وتاثيراتها العميقة، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية اخذت جميعا توسع مجالات اشعال نيران الحرب الاعتيادية.

ويرى المنظرون العسكريون ان الحرب ضد دول حلف معاهدة وارسو يمكن ان تنشب بعد تفاقم الموقف الدولي على الساحة الدولية، او بهجوم مفاجيء واسع الرقعة على دول وارسو، او بعد نشوب حرب محلية (مثل الحروب العربية الاسرائيلية) خارج منطقة الحلف الاطلسي. حتمت هذه الظروف ظهور هذه التجمعات الضخمة من القوات التي نراها الان.

□■□

وظهرت اكثر طرائق نشوب الحرب احتمالية، المقتصرة على الاسلحة الاعتيادية في المناورات الاخيرة المشتركة للحلف وهي:

- هجوم مفاجيء تقوم به تحشيدات، وتجمعات قوات الحلف الموجودة في وضع الجاهزية القتالية زمن السلم.

- الانتقال الى الهجوم بعد تعبئة القوات جزئيا، او كليا ونشرها بغية تعزيز التجمعات الموجودة، والمتحشدة في مسرح الاعمال الحربية.

الهجوم المفاجيء: هو الطريقة الاكثر فعالية في اشعال نار الحرب، بحيث انه يجب ان يؤمن خطف زمام المبادرة الاستراتيجية منذ بداية الحرب، وتغيير المواقف القتالية بشدة، ونسبة القوى لصالح الدول المهاجمة. لذلك فقد يبدأ القتال دون اي تحضير اولي مسبق للاعمال القتالية، وتعزيز قوات النسق الاول الاستراتيجي اي القوات المنتشرة في زمن السلم التي تحدثنا عنها.

في مثل تلك الاوضاع تنشب الحرب بواسطة القوات الاكثر تدريبا وجاهزية قتالية، والتي زيدت فيها تدابير التدريب القتالي حتى وصلت الى اعلى المستويات.

من المعروف ان الحلف، ينفذ كل عام ٢٠٠ مناورة عسكرية خلفية، وفي الوقت نفسه تنفذ دول الحلف بصورة مستقلة مناورات وطنية، داخلية، يصل عددها سنويا الى ٨٠٠ مناورة يمكن تحت غطاء اجراء مناورة من نوع «أوتم فورج» ارسال نصف التشكيلات والقطعات، المنتشرة في مسرح الاعمال الحربية الاوسط الى مناطق الميدان، والبدء بالهجوم المفاجيء، واشعال نار الحرب العادية بالاسلحة التقليدية.

في أيامنا هذه يمكن لقوات حلف شمالي الاطلسي الانتقال الى الهجوم بعد النشر الاستراتيجي لقوات الحلف المسلحة. وذلك بتحويل هذه القوات من وضع السلم الى وضع الحرب، وتشكيل تجميعات القوات اللازمة لخوض الحرب. وقد لوحظ ان قيادة الحلف تركز كثيرا في المناورات على هذه الطريقة، في خوض الحرب، على اساس سيناريو يفترض فيه تأزم الموقف الدولي خلال مدة شهر من الزمن، توضع قوات الحلف بكاملها في وضع الجاهزية الكاملة للحرب، مع زيادة القوام القتالي للقوات بصورة كبيرة في مسرح الاعمال الحربية. اما تعزيز قوات الحلف في ذلك السيناريو، فيتم عن طريق انزال القوات الاميركية والكندية والانكليزية، وتكون القوات المسلحة الفرنسية في ذلك السيناريو كقوات احتياطية.

□■□

وفي معظم المناورات التي اجراها الحلف، اعطيت لتعبئة قوات الحلف اهمية كبرى، لنشر قطعات الحلف، وللتأمين العملياتي والاداري وخاصة في المناورات الخريفية «أوتم فورج» حيث كان يتم الاستدعاء الحقيقي لقوات الاحتياط في جميع دول الحلف. مثلا في عام ١٩٨٤ استدعي بصورة حقيقية ٤٠ الفا من الاحتياطيين البريطانيين، الى الخدمة الفعلية. وقد ذكرت وكالة فرانس برس في ذلك العام، ان اعظم انزال للقوات جرى بعد الحرب العالمية الاولى هو الذي قامت به بريطانيا ذلك العام حيث وصل عدد القوات المنزلة حقيقيا في مسرح الاعمال الحربية الاوروبي الاوسط، الى ٥٧ الف عسكري بأسلحتهم الكاملة.

النشر الاستراتيجي للقوات كان يتم في اقل وقت من الزمن، وكانت تعطى لجميع اعمال تحضير القوات للحرب بصورة سرية اهمية من الدرجة الاولى. ولسبق العدو في نشر القوات المسلحة مهما كانت شروط الموقف معقدة. وقد حددت قيادة الحلف، ان لا تتعدى مدة تنفيذ اعمال النشر الاستراتيجي لقوات الحلف المسلحة اكثر من عشرة ايام، لان ذلك في اعتقاد قيادة الحلف يمكن من بلوغ مشاركة مثالية للقوى في الضربة وفي تحقيق المفاجاة.

من الناحية العملية أمكن في المناورة المذكورة، التحول الى وضع الحرب، خلال عشرة ايام فعلية من التحضير والانتشار الاستراتيجي، وانزال قوات التعزيز، ونشر القوات الامامية بسرعة. لقد أولي ايضا موضوع النشر العملياتي للقوات اهتماما كبيرا باعتباره المرحلة الختامية، للتحضير المباشر للحرب وقد نفذته قيادة الحلف بسرية تامة، وفي مواقف دينامية معقدة.

من جملة آراء القيادة العسكرية العامة للحلف انه يمكن تحقيق الاهداف السياسية للحرب الاعتيادية، اي في اوروبا عن طريق خوض العمليات الاستراتيجية في مسرح الاعمال الحربية الاوروبي.

شكلت لهذه الغاية منذ الآن قيادات عامة لكل مسرح. تتبع لقيادة مسرح الاعمال الحربية الاوسط في اوروبا مجموعات الجيوش الشمالية، والوسطى والقيادة الثانية والرابعة لقوى الطيران التكتيكي. تشكل هذه القوى النسق العملياتي الاول. اما احتياط القيادة العامة، فسيشكل اثناء النشر الاستراتيجي للقوات، عند نشوب الحرب او اثناء مرحلة بداية الحرب.

سيكون الهدف الرئيسي للعملية الاستراتيجية الاولى، سحق التجمع الرئيسي لقوات حلف وارسو، واحتلال المراكز السياسية، والاقتصادية المهمة في اراضي المانيا الشرقية، وتشيكوسلوفاكيا وبولندا. وقد قدرت القيادة الاطلسية خصائص مسرح الاعمال الحربية الاوسط بما يلي: العمق ٩٠٠ - ١٠٠٠ كم، العرض ٧٠٠ - ٨٠٠كم، الايقاع المتوسط للهجوم ٤٠ - ٥٠كم في اليوم، لمدة ٢٠ - ٢٥ يوما، تقضي المهمة المباشرة بالقضاء على النسق العملياتي الاول لقوات حلف وارسو، واحتلال خط على عمق ٤٠٠ - ٥٠٠كم من الحدود الدولية، وتقضي المهمة القتالية بمتابعة سحق النسق الاستراتيجي الاول، والنفوذ في الحدود الغربية للاتحاد السوفيتي نفسه.

في بداية الثمانينات اعطيت هذه العمليات مفاهيم «الضربات العميقة» وسميت باسم «العمليات الجوية - الارضية» و«النضال ضد الانساق الثانية».

ان مفهوم «العملية الجوية - الارضية» حسب تقدير الاختصاصيين العسكريين في معهد لندن للدراسات الاستراتيجية، يعني تدمير النسق الاول.

□■□

والقوات المخصصة لتطوير النجاح (الانساق الثانية والاحتياطيات) لدى العدو في الوقت نفسه، في المستوى العملياتي - التكتيكي على حد سوا. وهم يرون ان اهم الشروط المحققة للنجاح تكمن في القدرة على تنظيم التدمير العميق للعدو، على اساس الاستخدام المركب لجميع الوسائط النارية، وكذلك أتمتة منظومات الاستطلاع، والدلالة على الاهداف، والاتصال، التي تؤمن سرعة اعداد المعطيات، خلال ثوان للرمي، وتوجيه الاسلحة نحو الاهداف. من اجل توجيه «الضربات العميقة» تستخدم القوات الارضية، والمدفعية، والطيران التكتيكي، وطيران الجيوش، وقوى ووسائط الحرب الالكترونية. في تلك الحرب سيؤدي الطيران التكتيكي دورا عظيما في عزل مناطق الاعمال القتالية.

ان تبني الجيش الاميركي لمفهوم «العملية الجوية - الارضية» قد ادى الى وضع مفهوم «النضال ضد الانساق الثانية» من قبل قيادة الحلف الاطلسي. التي تعني نقل الاعمال القتالية الى اراضي حلف وارسو منذ بداية الحرب، وسحق تجميعات القوات المقابلة في أقصر وقت ممكن. على هذا الاساس توجه ضربات الاسلحة عالية الدقة، بصورة مسبقة الى جميع البنية العملياتية الاستراتيجية لقوات العدو الاشتراكي، وخوض الهجوم، وتخريب منظومات الاتصال والقيادة، واختراق مؤخرات العدو باستمرار او الاحاطة بالعدو من المجنبات، واستخدام الانزالات الجوية والبحرية على نطاق واسع. يرى منظرو الغرب ان المقدمة الرئيسية للنصر في مثل تلك الحرب التقليدية، يكمن في تخريب المواصلات، وتدمير الانساق الثانية والاحتياطات في الاعماق القصوى.

□■□

تمر مفاهيم الاستخدام العملياتي - الاستراتيجي للقوات المسلحة حاليا بمرحلة الاختبار والتحقق، في المناورات الكثيرة التي تجريها قيادة الحلف.

ستقوم قيادة الحلف بحربها التقليدية، عن طريق الاستخدام الفعال الرئيسي للقوات البرية في مسرح الاعمال الحربية الاوسط في اوروبا عن طريق عمليات تقوم بها مجموعات الجيوش البرية، اما في مسارح الاعمال المجنباتية (اي على المجنبات) فبواسطة عمليات قيادة القوات البرية الموحدة في مناطق مستقلة، التي يمكن ان تكون من حيث اهدافها، وطبيعة المهام التي تنفذها، هجومية او دفاعية.

العمليات الهجومية لمجموعة الجيوش: ستنفذ بهدف سحق قوات جبهة النسق الاول للقوات المسلحة لحلف وارسو، واحتلال المناطق الاقتصادية والسياسية والادارية المهمة، في اراضي دولة واحدة، او عدة دول من حلف وارسو، تتميز هذه العمليات بالمواصفات التالية: العمق ٣٠٠ - ٥٠٠كم، العرض ٢٥٠ - ٤٠٠كم. ٦ - ٧ ايام، واما ايقاع الهجوم فيصل الى ٥٠كم في اليوم.

حسب ظروف نشوب الحرب، يمكن ان تتحول مجموعة الجيوش الى الهجوم من وضعيتها البنيوية، في زمن السلم (١٥ فرقة) او بدء الاعمال القتالية بعد التعبئة العامة (٢٥ فرقة). الاقامة الدائمة لتشكيلات وقطعات مجموعة جيوش الشمال والوسط قريبة بصورة مباشرة من مناطق وظيفتها العملياتية، الأمر الذي يمكنها من تشكيل مجموعة ضاربة بسرعة، في الاتجاهات التي تختارها لتوجيه ضربتها الرئيسية.

□■□

وعادة تكون البنية العملياتية لمجموعة الجيوش على نسقين، ويشكل النسق الثاني، كما بينا سابقا، اثناء العملية نفسها، من التشكيلات الموجودة كاحتياط للقيادة العامة لمجموعة الجيوش، وما يلحق بها من قوات من احتياط القيادة العامة للحلف، في مسرح الاعمال الحربية.

العمليات الدفاعية لمجموعة الجيوش قد يكون لها مكان مع بداية العملية الاستراتيجية لمجموعة الجيوش، واثناءها. بيّن المنظرون العسكريون ان قيادة الاطلسي في الاعوام الاخيرة منحت الدفاع اهدافا حاسمة، أكبر من السابق. فقد اصبح المطلوب من الدفاع، ليس فقط احباط هجوم العدو، وايقافه فحسب، بل وايقاع أفدح الخسائر في صفوفه، وخلق افضل الشروط لانتقال القوات المدافعة الى الهجوم العام المعاكس خلال ٦ - ٧ ايام.

□■□

الشكلان الرئيسيان للاستخدام العملياتي للقوى الجوية الاطلسية في الحرب الاعتيادية، هما العمليتان: الهجومية والدفاعية الجويتان.

العملية الجوية الهجومية: في الحرب الاعتيادية تهدف الى: انتزاع زمام السيطرة الجوية، واشاعة الخلل والاضطراب في قوات العدو، وتدمير احتياطات العدو العميقة وتخريب مواصلاته. في ايامنا هذه يتحدث المنظرون العسكريون انه في مجرى العملية الجوية الهجومية يتعين على القوات الجوية تنفيذ جزء كبير من المهام ضمن اطارات مفاهيم «العملية الجوية - الارضية» والنضال ضد الانساق الثانية المعادية. اما الاهداف الثانوية فهي: تدمير الانساق الثانية للجيش المعادي وللجبهة، واحباط اي تقدم لها، ومنعها من الزج في العملية.

حسب ظروف خوض العملية الاستراتيجية في مسرح الاعمال الحربية، وحجوم المهام المنفذة في العملية الجوية الهجومية قد تطول مدة العملية الى ثلاثة ايام. يشارك فيها اكثر من ٨٠٪ من الطيران الجاهز للقتال في المسرح. وهي تتضمن توجيه ضربات جوية كثيفة، حيث يعمل القسم الاعظم من الطيران التكتيكي حسب فكرة عامة، وخطة موحدتين، وتوجيه ضربات منسقة الى وسائط الهجوم النووي، والى طائرات العدو وهي في المطارات، والى مواصلات العدو ومقرات القيادة والسيطرة والى الانساق الثانية المتقدمة، والاحتياط. أي تنفيذ المهام لصالح الجحفل الاستراتيجي كله. وفي الوقت نفسه يستخدم قسم من الطائرات لتقديم الدعم الجوي المباشر للتشكيلات المهاجمة في النسق الاول حسب خطة قادة الفيلق.

في الفواصل الزمنية بين الضربات الكثيفة تستخدم الطائرات لتقديم الدعم المباشر للقوى البرية بالحد الاقصى.

يتعين علينا هنا ان نبين انه بما يتطابق مع متطلبات مفهوم «العملية الجوية - الارضية» زيدت اعماق مثل هذه الاعمال من ١٥ الى ٥٠كم.

العملية الجوية الدفاعية: ستنفذ في الحرب الاعتيادية بهدف صد الضربات الجوية الكثيفة للعدو، وتغطية التجميعات الرئيسية الصديقة، والمراكز الادارية والاقتصادية، والسياسية المهمة، في مسرح الاعمال الحربية.

تقضي البنية التنظيمية للعمليات الجوية في مسارح الاعمال الحربية للحلف: بتركيز قيادة الطيران التكتيكي، وقوات الدفاع الجوي على حد سواء، وتوحيد قيادتهما في قيادة واحدة. يرى المنظرون العسكريون في ذلك التوحيد مرونة تمكن من توجيه الطيران التكتيكي لتنفيذ المهام الهجومية والدفاعية على حد سواء، وتسهل تنظيم التعاون بين الطيران والوسائط الارضية للدفاع الجوي، وقيادتها اثناء سير العملية.

□■□

تهدف عمليات القوى البحرية في الحرب الاعتيادية، في مجرى العمليات الاستراتيجية في المسرح الحربي الى تحقيق السيطرة البحرية في البحر النرويجي، وبحر الشمال، والبحر الابيض المتوسط. وفي غربي البلطيق. أسند الدور الرئيسي الى حاملات الطائرات الاميركية للقضاء على تجميعات السفن والاساطيل الاشتراكية، وزعزعة منظومتها القيادية وكذلك اعمال التامين اللوجستي.

ستقع على عاتق القوى المضادة للسفن، الموجودة في غربي الاطلسي، مهمة تدمير الغواصات الاشتراكية ومنعها من الدخول الى خليج: نوردكاب، وجزر ميدويجي وغرينلاند، وايسلندا، وفارر، والسواحل الجنوبية الغربية للنرويج. وقد درست في الايام الاخيرة الماضية مسألة مد هذا الخط المضاد للغواصات الى البحر الابيض المتوسط للحفاظ على مواصلات السفن الناقلة للنفط عبر البحر الابيض المتوسط لصالح الحلف.

عند نشوب الحرب الاعتيادية، خصصت بعض القوى البحرية الاطلسية لحماية المواصلات البحرية، واستخدام قوى السفن الضاربة الحاملة للطائرات لدعم الانزالات البحرية، والقوات البرية في الاماكن القريبة من الشواطىء البحرية.

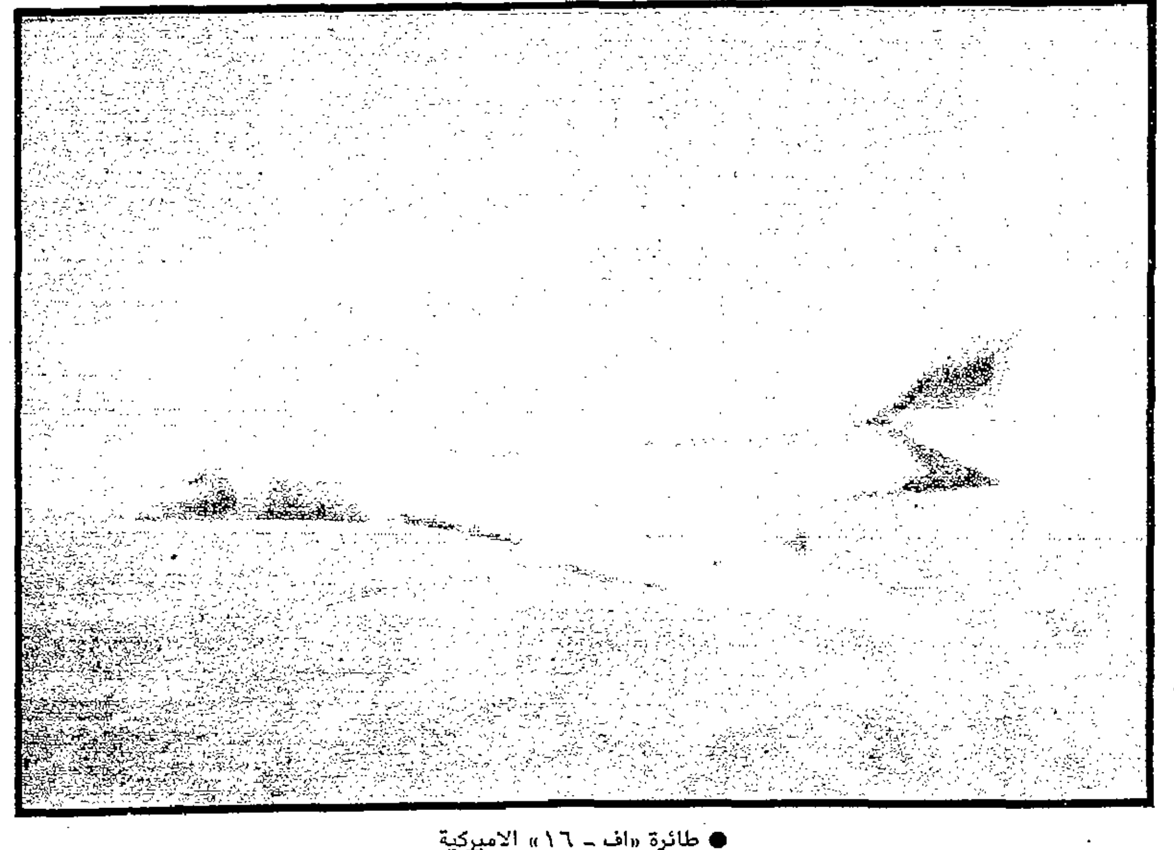
عند نشوب الحرب الاعتيادية، تقوم مجموعات الحاملات الضاربة في المحيط الاطلسي باحتلال مناطق المناورة القتالية في الخليج النرويجي، والبحار الشمالية، وخليج بسكاي، وتقوم القوى البحرية في البحر الابيض المتوسط في كريت والبحر الأيوني.

ترى قيادة القوى البحرية لحلف شمال الاطلسي، ان الامساك بزمام السيطرة البحرية سيخلق الظروف الملائمة لتنفيذ اعمال وعمليات الانزال البحري، وهي ترى ان افضل مناطق الانزال هي المناطق القطبية السوفيتية، والشواطىء البلطيقية لالمانيا الشرقية، وبولندا، وشبه جزيرة البلقان، بحيث تتسع كل من هذه المناطق لانزال فرقة بكامل عددها وعدتها.

□■□

من كل ما سبق نستطيع التوصل الى استنتاجات لا تقبل الشك قيد أنملة. هو ان البناء العسكري، وجميع ما افادتنا به نتائج المناورات التي ادتها قوات الولايات المتحدة، وحلف شمال الاطلسي ومازالت تؤديها انها تزيد من قوتها، وتضاعف جهودها لتحضير الحرب الاعتيادية، ضد الاتحاد السوفيتي ودول حلف وارسو، مع المحافظة على الجاهزية الدائمة، لخوض الحرب النووية. على هذا الاساس يتزايد يوما بعد يوم خطر نشوب حرب عالمية اعتيادية ثالثة.

العقيد بسام اسخيطه



● طائرة «اف - ١٦» الاميركية